# صدمة الطفولة و مصيرها في سن المراهقة

نورالدين خالد*
وعزيزة أوسعد**

## ملخص

ان مقال ن.خالد (علم النفس؛ 2006) الذي تناول دراسة أطفال عانوا من عنف الأحداث الإرهابية و أثرها على نتائجهم الدراسية و صحتهم النفسية، يبرز الفروق الموجودة بين هؤلاء الأطفال في الاستجابة لتلك الأحداث العنيفة. بينما تدهورت حالة البعض و شهدت نتائجهم الدراسية تراجعا كبيرا بعد الأحداث وسجلت عليهم بعض الاضطرابات النفسية، كان البعض الآخر يتميز بالقدرة على التصدي والمقاومة أمام الأحداث الصدمية والحفاظ على مستواهم الدراسي رغم ظروفهم الصعبة.

لإكمال هذه البحث، نعرض هنا دراسة نوعية لستة حالات فحصناهم كلهم في الدراسة الأولى سنة 1999 وطبقنا عليهم وعلى أهم أفراد عائلتهم (خاصة على الأم) المقابلة العيادية التي سمحت لنا أن نكتب تاريخ الشخصي و العائلي لكل حالة.

توحي لنا النتائج أن مصير صدمة الطفولة في سن المراهقة يكون مرتبطا بالحالة الصحية لأفراد العائلة الراشدين و خاصة منهم الأم. إذا كانت الأم "محتوية" (" mère contenante ")_ بدرجة كافية، فان قدرة مقاومة الطفل للصدمة تكون كبيرة و العكس صحيح. حاول المؤلفان أن يحللا نتائج هذا البحث على ضوء نظرية الإرجاع (Théorie de la résilience).

---

* – جامعة الجزائر، SARP
** SARP

***Résumé***

**L**'étude de N. KHALED (Psychologie, 2006) sur des enfants dont les familles ont été victimes de violences terroristes pour évaluer l'impact du traumatisme sur leurs devenirs scolaires a identifié des réactions différentes selon les enfants. Tandis que certains ont réagi par des troubles psychiques, ce qui a donné lieu à une détérioration significative de leurs résultats scolaires, certains autres ont montré une résistance au traumatisme de la violence qui leur a permis de conserver, malgré une situation difficile, leurs performances scolaires à un niveau convenable.

En complément, nous présentons ici une étude qualitative sur six cas, tous ayant été examinés en 1999 lors de la première étude. L'histoire personnelle et l'histoire familiale de chacun des six cas a été retracée grâce aux entretiens cliniques effectués avec chaque cas ainsi qu'avec des membres de leurs familles, en particulier la mère.

Les résultats suggèrent que, de l'enfance à l'adolescence, le destin du traumatisme se forge en fonction de l'«état de santé» des adultes privilégiés du milieu familial, en particulier la mère. Si la mère est suffisamment «contenante», les capacités de résistance du sujet au traumatisme sont importantes et l'inverse est vrai. Ces résultats ont été analysés à la lumière de la théorie de la résilience.

**Mots clés** : traumatismes psychiques, enfance, adolescence, support social, résilience.

### 1. إطار البحث

ان العشرية الدامية والأليمة التي عاشتها الجزائر والتي كانت فيها عرضة للعنف الإرهابي، خلفت أضرارا جسدية ونفسية لازالت أثارها فاعلة ليومنا هذا. فلا تزال آثار المعاناة النفسية التي نشهدها عند بعض الضحايا الذين تطاردهم أشباح الماضي الأليم و تبعياته النفسية. ولعل ذلك يصبح أكثر انشغالا عندما يتعلق الأمر بالأطفال، هذه المرحلة العمرية التي تعتبر مرحلة تطور ونمو في حياة الإنسان. مثل تلك الأحداث العنيفة من شأنها أن تعرقل النمو وتتسبب في اضطرابات ومشاكل نفسية مختلفة، تمتد انعكاساتها إلى سن المراهقة و ربما الى سن الرشد.

وفي هذا السياق نذكر مقال ن. خالد نشره سنة 2006 والذي تناول دراسة أطفال عانوا من عنف الأحداث الإرهابية وأثرها على نتائجهم الدراسية وصحتهم النفسية، مبرزا الفروق الموجودة بين هؤلاء الأطفال في الاستجابة لتلك الأحداث العنيفة. بينما تدهورت حالة البعض و شهدت نتائجهم الدراسية تراجعا كبيرا بعد الأحداث وسجلت عليهم بعض الاضطرابات النفسية، كان البعض الآخر يتميز بالقدرة على التصدي والمقاومة أمام الأحداث الصدمية والحفاظ على مستواهم الدراسي رغم ظروفهم الصعبة.

و في نفس المقال وصل الباحث إلى استخراج ثلاثة أنماط من الأطفال وفق نتائجهم الدراسية نعرضها باختصار. يمثل النمط الأول الأطفال الذين تأثروا بنسبة كبيرة، و يظهر ذلك في تدهور حالتهم النفسية وتراجع نتائجهم الدراسية مباشرة بعد الحدث، و الذي استمر إلى غاية عام بعد الصدمة. ويجمع النمط الثاني الأطفال الذين تأثروا بنسبة كبيرة مباشرة بعد الحدث، لكنهم تمكنوا من تحسين وضعيتهم العامة و التحكم في وضعيتهم الدراسية بعد عام من الحدث. أما النمط الثالث فهو يعبر عن الأطفال الذين يملكون قدرة كبيرة على التصدي للأحداث الصدمية، حيث كان تأثرها طفيفا منذ البداية، أي مباشرة بعد الحدث، و تمكنوا بسرعة من تحسين مستواهم الدراسي( N.Khaled 2006).

ومن معطيات البحث، نجد أن أطفال النمط الأول كانوا يعيشون في أجواء أسرية غير ملائمة سواء من الناحية الاقتصادية أو الناحية الثقافية وربما، هذا ما كان وراء تدهورهم. كما أن غياب الأبوين معا عند إحدى

الحالات (نتيجة قتلهما) كان العامل المتسبب في تدهورها و تبنيها لاضطرا بات سلوكية. في حين فسر الباحث حفاظ باقي الأطفال على مستواهم ببيئاتهم الأسرية التي يسودها جو ملائم، ويتمتع آبائهم بمستوى ثقافي مقبول رغم تعرضهم إلى الأحداث العنيفة.

لما نتذكر أن معطيات البحث مصدر المقال المذكور أعلاه تم جمعها بداية عام 1999 نتساءل مع الباحث عن مصير أولئك الأطفال اليوم (ثمان سنوات بعد البحث الأول) بعد أن أصبحوا مراهقين ويمرون بهذه المرحلة العسيرة من الحياة و المتميزة بالصراعات والأزمات.

فبذلك وجدنا أن نتائج هذا البحث كانت غنية من حيث أنماط الاستجابة للأحداث الصدمية عند الطفل في ضل أجواء أسرية مختلفة، ما يوحي لنا بفكرة أنه كلما كانت الأجواء الأسرية ملائمة كلما زادت قدرة الطفل على المقاومة أمام الأحداث العنيفة والعكس صحيح. ليظهر بذلك مصطلح الارجاعيةق(résilience) في مقابل مصطلح الجروحية (vulnérabilité) عند الطفل، و المصطلحان شائعان في علم الصدمات يشير الأول إلى مقاومة الطفل للصدمة ونموه الطبيعي رغم الأحداث العنيفة، في حين يشير الثاني لضعف الطفل و رهافته أمام الأحداث الصدمية. ما يخلف عنده آثارا تمتد لما بعد الطفولة إلى مرحلة المراهقة التي لا تقل أهمية ولا تعقيدا عن الطفولة، لأنها مرحلة التنقيب عن الهوية و جسر العبور من الطفولة إلى الرشد، فهي مصيرية في حياة الفرد حيث ترتسم ملامح شخصيته فيها، بعد المرور بتحولات فيزيولوجية واجتماعية و نفسية وثقافية، تجعل المراهق أسير أزمات و صرا عات داخلية كالصراع بين ثقافته و ثقافة أبيه والصراع بين غرائزه و مبادئ مجتمعه وخاصة الصراع بين حاجته لدعم الأسرة و الرغبة في الاستقلال عنها (عباس محمود عوض1997)، ما يجعلها مرحلة عمرية حرجة و عسيرة على المراهقين، و لعلها تصبح أكثر عسرا مع ذوي التبعيات لطفولة أليمة و عنيفة و ذوي حاجة خاصة لدعم الأسرة قصد مقاومة آثار الأحداث العنيفة، كما هو الشأن مع أفراد عينة البحث الذي سبق التحدث عنه.

لذلك دفعتنا كل هذه المعطيات للاهتمام بأطفال ذلك البحث وبمصيرهم النفسي و الدراسي الذي آلوا إليه بعد أن أصبحوا اليوم مراهقين بعد مضي ثمان سنوات، في إطار دراسة طولية، معتمدين على بعض أفراد

نفس العينة للتعرف على مصيرهم النفسي والدراسي والبحث عن العامل الأسري كعامل تفسيري لمصيرهم النفسي والدراسي.

يحاول بحثنا هذا الإجابة على التساؤلات التالية: هل الأطفال، الذين تدهورت وضعيتهم مباشرة بعد الحدث و لغاية عام بعد الحدث ويعيشون في ضل ضروف أسرية سيئة، امتد تدهورهم إلى سن المراهقة ؟ و هل الأطفال، الذين تدهورت وضعيتهم مباشرة بعد الأحداث ثم تمكنوا من التحسن بعد عام و يعيشون في ضل ضروف أسرية ملائمة، امتد تحسنهم إلى سن المراهقة؟

و في سياق هذه التساؤلات نطرح الفرضيتين التاليتين: إن الأطفال الذين تأثروا بنسبة كبيرة على الأمد القصير و تواصل تدهورهم إلى عام بعد الصدمة و يعيشون في ضل ضر وف أسرية سيئة يتواصل تدهورهم إلى سين المراهقة. أما الأطفال الذين تأثروا بنسبة كبيرة على الأمد القصير و تمكنوا من تحسين و تدارك وضعيتهم الدراسية بعد عام من الصدمة و يعيشون في ضل ضروف أسرية ملائمة يتواصل تحسنهم إلى سن المراهقة.

## 2. اعتبارات نظرية

في ما يلي سنعرض فقرتان ترافقنا و تساعدنا في فهم و تفسير مصير الصدمة النفسية. تتمثل الأولى في مراحل تطور الصدمة وتتمثل الثانية في نظرية الإرجاع (Théorie de la résilience)

### 1.2. مراحل تطور الصدمة النفسية:

يمكن تمييز ثلاث مراحل لتطور الصدمة النفسية كما وصفها دوكلارك و لوبيقو (M. De Clercq et F.Lebigot, 2001)، المرحلة الآنية والمرحلة بعد الآنية و أخيرا المرحلة المتأخرة. يهتم بحثنا هذا بالمرحلة الأخيرة بعد ما درسنا المرحلتين السابقتين في بحث سبق ذكره.

#### *1.1.*2. المرحلة الآنية ( phase immediate)

هي المرحلة التي تنطلق مباشرة من لحظة الصدمة و تدوم بضع ساعات أو نهار، و هي المرحلة الوحيدة التي يمكن إطلاق عليها اسم مرحلة الكرب( stress) الذي يمكن أن يكون كربا مكيفا تصاحبه فقط بعض الأعراض الفزيولوجية مثل الاصفرار، العرق، توتر حصري،

سرعة خفقان القلب...الخ. كما يمكن أن يكون عبارة عن كرب فائق (stress dépassé)وأعراضه هي الاضطراب، الاستثارة، الهرب، ردود آلية...الخ. هذا النوع من الكرب يؤول غالبا إلى زملة صدمية مطولة، ولكن ليس دائما حيث هناك كرب فائق يتطور لكن دون آثار في حين يتضح أحيانا أن بعض حالات الكرب المكيفة تخفي وراءها فزعا صدميا، و تؤول في ما بعد إلى عصاب صدمي.

2.1.2. المرحلة بعد الآنية (phase post-immediate )

هي مرحلة تطور و تفاقم و حراسة أين نلاحظ إما خمود الكرب (أحيانا يتم ذلك بتفريغ انفعالي نفسي أو اعاشي-عصبي) أو ظهور علامات استقرار عصاب صدمي مطول في مرحلته المسماة الكمون أو التفكر، فنلاحظ لدى المصدوم أولى معايشات الحدث، أولى الاجتراريات، هوس مفرط، سلوك الانسحاب في التردد الحصري والاكتئابي...الخ.

وهاتين المرحلتين تكونان مصحوبتين بمجموعة من الاضطرابات التي يمكن ان تكون ناتجة عن تأثير الدهشة و المفاجأة التي يثيرها الضغط ومواجهة فظاعة الموت التي لا مفهوم لها التي سرعان ما يصحبها القلق أو اضطرابات التي تسمح مطولا باستقرار صورة ذات خصائص الصورة الأصلية للحدث الصد مي على مستوى الجهاز النفسي.

وغالبا ما نجد مجموعة من الأعراض التالية مثل الكرب و_الزملة الصدمية المبكرة والذهانات الحادة واضطرابات المزاج والشعور بالتهديد الداخلي و الشعور بالعار و الهجران و الإحساس بالذنب. و قد تنعكس هذه الاضطرابات على النشاطات المعرفية حيث تعرقل القدرة على الانتباه و التركيز و التفكير، و تتسبب في انهيار مستوى التحصيل الدراسي عند الطفل كما لحضناه في الدراسة السابقة.

3.1.2. **المرحلة المتأخرة** (phase différée)

و هي مرحلة لا يمكن إطلاق عليها بأي شكل من الإشكال مصطلح الكرب (stress) حيث أن لوحتها العيادية تختلف عن اللوحة العيادية للكرب (رغم اشتراكهما في بعض الأعراض كمعايشة الحدث الذي ينتمي إلى الأعراض الفيزيولوجية للكرب، و ينتمي إلى الأعراض الاعاشية-

العصبية للزمل الصدمية) كما أن الكرب لا يعتبر إلا ردا أوليا للاعتداء، فيطلق على هذه المرحلة مصطلح الزملة النفسية-الصدمية المتأخرة (syndrome psycho-traumatique différé) و هي تغطي الزمل الصدمية التي تستقر بعد اشهر من الحدث الصدمي (M. De Clercq et F. Lebigot 2001)

### 2.2. *نظرية الارجاعية* (Théorie de la résilience)

يعرف سيرلنيك الارجاعية على أنها الحفاظ على سيرورة طبيعية للنمو رغم الظروف الصعبة فهي بذلك ظاهرة ديناميكية و ليست مجرد مقاومة بسيطة أمام الصدمات كما يشير إليها التعريف الأصلي للكلمة والمستمد من الفيزياء ( B. Cyrulnik 1997). ترتكز الارجاعية أساسا على وجود "رابط التعلق" فهي بهذا المبدأ سيرورة معقدة تعكس أثر التفاعل الايجابي بين الفرد و محيطه. ان العنصر المفتاح في هذه العلاقة هو القدرة على البقاء في علاقة مع الغير (B.Cyrulnik, 1997).

ما تعبر عنه ماري أنو (M. Anaut, 2005) بعبارة "عوامل الحماية" هي العوامل التي تأثر في ردود الأفعال أمام وضعيات الخطر مقللة من اثر الخطورة و من الردود السلبية. إن عوامل الحماية ثلاث أنواع منها الفردية و الأسرية و الاجتماعية.

تتمثل **العوامل الفردية** في الجنس ( فتاة قبل سن المراهقة أو ولد خلال المراهقة) و السن (الشباب) ونسبة ذكاء عالية أو مستوى جيد للقدرات المعرفية والإحساس بفعالية الذات و تقدير الذات و المرح والكفاءات الاجتماعية و الوعي بالعلاقات بين الأشخاص ( قريب من الذكاء الاجتماعي). كما يشير بوري سرولنيك (B.Cyrulnik,1997) إلى بعض الميكانزمات التي تندرج في نفس السياق مثل الإفراط في النشاط الذي يسمح بتصريف الضغط الكبير الناجم عن الضر وف المحيطية ولفت انتباه الأشخاص الذين يحيطون بالطفل لتجنب الغوص في عالم يخلو من التبادل الاجتماعي و الإدراك المبكر للصعوبات الداخلية.

تتكون **العوامل الأسرية** من أولياء عطوفين و دعم والدي ومن علاقات وطيدة بين والدين و الأبناء والانسجام اسري.

و تتضمن **عوامل الدعم الاجتماعي** (الغير أسرية)_شبكة الدعم الاجتماعي ( الأقارب، الأصدقاء) و تجربة النجاح المدرسي. و في هذا السياق أيضا يشير "بوري" إلى بعض الميكانزمات:

☆هوام أم مثالية قوية عند الفرد بهدف ملئ الفراغ و إصلاح الجرح النرجسي الأول ببناء عضو داخلي جميل في أعماق نفسه.

☆إعادة بناء خيالية للماضي عند بعض الأشخاص المحرومين والذين كانت حياتهم العائلية تتميز بالتقطع و الضبابية و التي حالت دون ارتكازهم على ذكرى الأشخاص و الأماكن.

☆ظهور أعراض بسيكوسوماتية خاصة بالأطفال الأصغر سنا قصد تفريغ حالة الضغط عن طريق الجسم فالطفل يتحرر من فائض انفعالي لا يمكنه لا التعبير عنه و لا التحكم فيه كما نجده أيضا عند الكبار الذين يعانون من صعوبات التذكر و التوهم ( الهوام).

☆ظهور العرض المنفرد و الذي يكون أحيانا مزعجا بشدته أو بنوعيته مثل ظهور فوبيا النوم عند طفل ما يسمح له بتنظيم وحصر قلقه في عرض واحد يخيفه محافظا على باقي جوانب وجوده سليمة. (M.Anaut 2005)

### 3. اعتبارات *منهجية*

إن عينة بحثنا مستمدة من عينة بحث سابق اجري في بداية عام 1999 تحت إشراف ن. خالد و من إعداد الطالبتان بن حسين فريال وبيبط بريزة، حيث كان البحث مكونا من 14 طفلا و طفلة متراوحة أعمارهم بين 10 و 12 سنة و كانوا موزعين على الصفين الخامس والسادس ابتدائي، و من ثلاث مدارس ابتدائية من العاصمة والموجودة ببراقي و بن طلحة والحراس، حيث كانت كل حالة شاهدا على حدث صدمي معين مثل قتل الأب، الأم أو كلاهما، انفجار، هجمات ليلية...الخ. حاولنا الاتصال بنفس الحالات فتمكنا من وجود ستة منهم فقط، ثلاثة ذكور و ثلاثة إناث من منطقتي براقي والحراش و تتراوح أعمارهم حاليا، بحكم مرور ثمانية سنوات من البحث الأول، بين 18 و 19 سنة.

اعتمدنا أولا على البحث عن ملفاتهم المدرسية للإطلاع عن نتائجهم خلال الثمان سنوات التي تفصلنا عن البحث الأول للتعرف على التأثير لتلك الأحداث الصدمية على المردود الدراسي لهؤلاء المراهقين. وجدنا

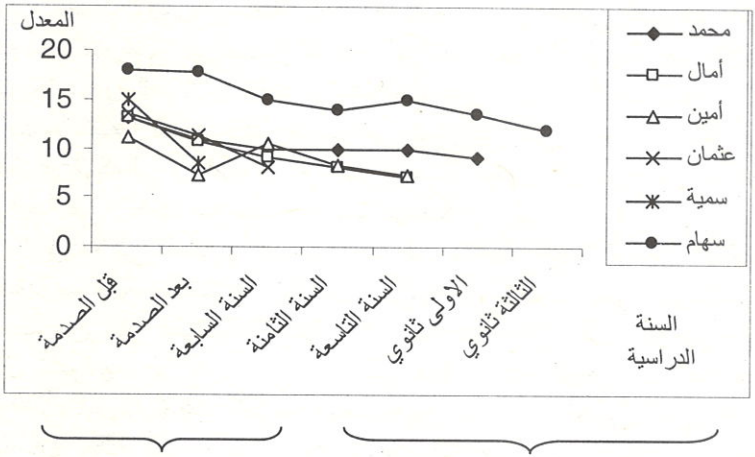
أن حالتين فقط لازالتا تزاولان الدراسة (ولد في السنة أولى ثانوي و بنت في مستوى نهائي) في حين غادر البقية مقاعد الدراسة و منهم من يمارس مهنة معينة و منهم من هو ماكث في البيت خاصة منهم الإناث.

في البحث الأول و بغية التعرف على التأثير الكمي للصدمة على مردودهم الدراسي تم تسجيل النتائج الدراسية لحالات العينة على ثلاث مستويات: قبل الحدث و مباشرة بعد الحدث، و أخيرا عام بعد الحدث. و في بحثنا تتبعنا تطور تلك النتائج في السنوات التي تلت والمتمثلة في المستوى الاكمالي و الثانوي، لنستخرج مسار تطور كل حالة من الناحية الدراسية مع ربطها بمعاشها و حالتها النفسية.

بالإضافة إلى الملفات المدرسية للتلاميذ استعملنا أيضا المقابلة العيادية *النصف موجهة* باعتبارها المناسبة لنوعية الدراسة و التي سمحت لنا بالبحث عن آثار الصدمة النفسية عند أولئك المراهقين الذين تعرضوا لها خلال طفولتهم، و عن ما إذا لازالت تؤثر فيهم لغاية هذا السن أي المراهقة، بحيث تمكننا المقابلة النصف موجهة من الحصول على قصة حياة كل حالة التي تمكننا بدورها من التعرف على معاش المراهق ومختلف الأحداث التي عاشها بعد الأحداث الصدمية من مشاكل و أزمات و أحداث التي أدت إلى ما آل إليه مصيره الدراسي و النفسي.

### 4. عرض النتائج المدرسية و تحليلها

الرسم 1: معدل النتائج حسب السنة الدراسية قبل وبعد الصدمة




إن أحسن النتائج الدراسية كانت من نصيب سهام كما أنها صاحبة أطول مشوار دراسي و لا تزال تزاول الدراسة لغاية اليوم، ونجد أنها تمكنت من الوصول إلى المستوى النهائي دون تعثر وهي مرشحة للنجاح في شهادة الباكالوريا هذا العام. يليها محمد الذي رغم انه تعثر ثلاث مرات، مرتين في الاكمالية و مرة في الثانوية و هو حاليا في مستوى السنة الأولى ثانوي إلا انه أكثر استقرار من الحالات الأخرى وأكثرهم حفاظا على المستوى المتوسط و الذي يؤهله للاستمرار، ونجد انه حاليا في مستوى الأولى ثانوي. في حين توقف المسار الدراسي لحالتين أمين و أمال في مستوى السنة التاسعة وكل منهما تعثر مرة على الأقل حيث نلاحظ من خلال المخطط أن منحنياهما متذبذبان ويميلان للتدني تحت المستوى، أما عثمان وسمية فقد كان مشواريهما اقصر حيث غادرت سمية في نهاية السنة السادسة وغادر عثمان في مستوى السنة السابعة بعد أن أعادها مرتين متتاليتين.

نستنتج أن المسارات الدراسية للحالات التي تحصلنا عليها كانت متفاوتة و شهدنا أن اغلبها متذبذب و يتميز بالتعثر والإخفاق المتكرر

وأحيانا المتتالي لتنتهي في النهاية بالانقطاع عن الدراسة وهو ما شهدناه عند أربع حالات من ستة تقريبا. ما هي أهم العوامل التي تفسر هذه الفروق بين استجابات الأفراد لأحداث صدمية متشابهة؟ هذا ما سنحاول فهمه من دراسة معمقة لحالتين.

**5. دراسة حالتين:** *حالة ارجاعية و حالة أقل ارجاعية*

في ما يلي، نقترح حالتين من الذكور. نعتبر الأولى حالة ارجاعية تتميز بمقاومة الصدمة رغم الصعوبات المتعددة بينما الثانية أقت ارجاعية تتميز بالفشل الدراسي الواضح و المعانات النفسية القوية. لنقارن بينهما ونحاول استخراج عوامل الحماية (facteurs de protection) وعوامل الجروحية ( facteurs de vulnérabilité).

***أ- محمد حالة ارجاعية*** *(un cas résiliant)*

محمد يبلغ من العمر 19 عاما، قتل والده لما كان يدرس في الابتدائي فقلب مقتل الأب موازين الحياة في أسرته ما توازى مع اضطرا بات شهدها مساره الدراسي. محمد أعاد السنة الأولى متوسط والثالثة متوسط و حاليا يعيد السنة الأولى ثانوي في شعبة آداب.

محمد فتى نحيف، بسيط المظهر، متوسط القامة يبدو للوهلة الأولى أقل من عمره، كما يسهل ملاحظة ابتسامته التي لا تكاد تفارق شفتيه، حيث تراه يبتسم عندما يتحدث و يبتسم عندما يستمع. فهو دائم الابتسامة التي كثيرا ما تبدو لنا تغير من معناها حسب الموقف. فأحيانا نشعر أنها تنبع من خجل و أحيانا كثيرة تنبع من قلق وأحيانا أخرى تنبع من لطفه، فهو لطيف جدا ومتقبل للآخرين ويسعى لخدمتهم حيث كان يخضع دائما و دون تردد أو تذمر لطلبنا المتكرر في رؤيته و حتى عندما كنا نترك له حرية اختيار الموعد كان دائما يقول"كيما تحبي نتيا أنا مافيش قع مشكل معايا" وأثناء المقابلة ورغم أنه لم يكن يتجاوب كثيرا مع الأسئلة المفتوحة والتي كان يلخص أجوبتها في جملتين وابتسامة إلا أنه أراد فعلا المشاركة حيث يسأل دائما في النهاية إذا ما كنت متأكدة من عدم الرغبة في معرفة المزيد. يتكلم محمد بسرعة و بصوت منخفض و أحيانا يبدو كلامه تمتمة يتعذر علينا فهم ما يقوله كما أبدى في بعض المواضيع

سيولة في الأفكار والتعابير كموضوع الدراسة و الظروف السيئة للبلاد وحلمه في الذهاب إلى فرنسا يوما.

يحتل محمد المرتبة السابعة بين إخوته المكونين من 4 ذكور و5 إناث، محمد آخر الذكور، وأخواته الثلاثة الكبار متزوجات أما الأختين الأصغر منه يدرسان في الاكمالية. يعيش محمد مع أختيه وإخوته الذكور ومع أمه الماكثة بالبيت.

يعيش محمد مع أسرته في بيت متواضع جدا، حيث تأثرت عائلته اقتصاديا بمقتل الأب الذي كان المسئول الوحيد على العائلة ومصاريفها، فبعد مقتله تلقت العائلة فريضة أعانتهم في البداية كما تخلى الأخ الأكبر، و الذي لم يكن يتعدى 16 سنة، عن دراسته واتجه للعمل ثم التحق به أخوته و اشتغلوا في مهن بسيطة جدا – وهو الحال غاية اليوم– تقتصر على النجارة و مكتبة صغيرة لكن ذلك لم يحمي الأسرة من المشاكل المادية التي لا سند لهم عليها غير تقاعد أبيهم الشهري المحدود جدا. بالإضافة إلى هذا المشكل آخر يتربص بالأسرة و هو البيت الذي يهددهم ابن أبيهم بالخروج منه لأنه ملكه وهو الذي بناه ما يجعل الأسرة في حالة خوف دائم على أنفسهم.

من الناحية الصحية نلاحظ تناقضا بين نظرة الأم التي ترى ابنها "مريضا" ونظرة الابن الذي يرى نفسه "صحيح والحمد لله"، ولعلنا نفهم مرد ذلك عندما نعرف أنه لم يسبق له أن دخل المستشفى ولا يعاني من أي مرض محدد ولا يتناول أي دواء معين إلا أنه يبدو ضعيف البدن وهو قليل الشهية – خاصة منذ الحدث للآن حسب الأم – وتقتصر وجباته على وجبات خفيفة ( البطاطا مقلية وبيض مقلي...) ما يقلق أمه و يجعلها تخاف عليه من ضعف الصحة وتقول أنه عندما يمرض الأمراض العابرة كنزلة برد أو – "قراجم" – فإنه يعاني كثيرا فمرضه صعب و تضيف أن محمد " مترجل" أكثر من إخوته فهو يتظاهر بالقوة عند مرضه، و لما كان في عمره 10 سنوات أي لما كان في السنة الرابعة ابتدائي كان يحصل له ضيق في التنفس فشك فيه الطبيب مرض الضيق الصدري لكن بعد القيام بالتحاليل تبين أنه لا يعاني منه. منذ زمن غير بعيد "وسوسه" أصدقاءه عندما لاحظوا عليه تسارع دقات قلبه فقالوا له أنه يمكن أن يكون مصابا بمرض السكر فقام بالتحليل عند الصيدلي و تبين مجددا أنها مجرد أوهام.

منذ سنوات قليلة بدأ محمد العمل في أوقات فراغه و أثناء العطل الدراسية اشتغل في النجارة و في السوق قبل أن يمتلك إخوته المكتبة التي يشتغلون فيها و هو الآن يعمل فيها في وقت فراغه. ويحكي محمد إحدى تجاربه في ميدان العمل يوم اشتغل عند احد النجارين الذي أنكر عليه حقه ويضيف أن تجربته في العمل هي التي دفتعه للتمسك بالدراسة "الخدمة صعيبة، تحيا القراية" كما كان عضوا في الكشافة الاسلامية ويمارس الرياضة، و هو مغرم بكرة القدم ومعجب بزيدان و يتبع كل أخباره.

محمد يصلي رغم تهاونه و تكاسله أحيانا إلا أنه ينتهي دائما بالرجوع إليها و لا يكتمل أسبوع على الأكثر قبل أن يرجع لصلاته.

علاقات محمد مع الآخرين- حسبه- تخضع لأسس يبنيها هو بمنظوره بحيث يفرق بين زميل المدرسة و الجار و نوعية العلاقة الواجب اتخاذها معه و هو ما تعبر عنه الأم بطريقتها " محمد اضحك الناس بصح هو ما يضحكش كيما باباه" فهو متحفظ لدرجة معينة في علاقاته لكنها ناجحة يحب الآخرين و يحبه الآخرين و يشكل علاقات ناجحة معهم بابتسامته و لطفه و احترامه و حبه الدائم لخدمة الغير. كما يحفظ محمد مكانة خاصة لصديق حميم يكبره و يدرس في مدرسة خاصة وهما متعارفان منذ 5 سنوات و هو الأقرب منه ويحفظ له أسراره. أما علاقاته مع أسرته فهي جيدة تتسم بالاحترام المتبادل و الحب خاصة مع أمه القريبة منه و يجد أن أجواء أسرته عارمة دائما بالمرح و " القصرة".

نظرة محمد إلى الواقع تشاؤمية بدء بالظروف السائدة في المنطقة: "الأوساخ، الطين...الخ". كما يشكو من الرشاوى و "المعرفة" المعتمد في الثانوية التي يدرس فيها، حيث يحكي كيف تباع أسئلة الامتحانات بالنقود ( لكنه لم يشتريها يوما ) و كيف أن تلاميذ دون المستوى وأقل منه هو تحديدا تحصلوا على امتيازات لم يتحصل هو عليها والأسوأ هو اندماج الإرهاب في المجتمع الذي يعيش هو فيه حيث هناك إرهابيين يسكنون في المنطقة و يجاورونهم أيضا.

بمقابل تلك النظرة التشاؤمية لظروف حياته فمحمد يدرك أنه في الضفة الأخرى هناك عالم أكثر أمنا و إنسانية ففكرة الذهاب إلى فرنسا التي رغم أنها ليست مشروعا يمهد له إلا أنها أمنية إذا ما أتيحت له يوما الفرصة لتحقيقها لن يتردد في انتهازها فهو معجب بإنسانية الفرنسيين

وبأخلاقهم فهو يصاحب كثيرا المتجنسين بالجنسية الفرنسية و يعيشون هنا و هناك حتى ولو يكبرونه في السن فيحكي لنا عن صديقه المصاب بالسرطان و يقوم بحصص علاجية في فرنسا عند طبيب فرنسي يهودي يحسن معاملة مرضاه و يقدرهم " ايديرلك الجزائريين هكذا؟ المسلمين؟ ماشي هم اليهود حنا اليهود" وموضوع فرنسا والفرنسيين هو موضوعه المفضل في البيت أيضا كما تقول الأم.

أما الدراسة فضعفه في بعض المواد تجعله يخاف من التعثر وتمنعه من رسم مستقبل دراسي زاهر لكنه يسعى لتمديد مشواره الدراسي قدر الإمكان "كي نجيب هاداك 10 الدنيا و ما فيها" و على حد قوله و قول أمه و أخواته مصر على المواصلة في الدراسة لأنه واثق من أنها السبيل الوحيد الذي يحميه من الآخرين "يلزم نقرى باش ما يكلخوليش".

عندما يتكلم محمد عن أبيه فانه يتكلم عنه دائما بلسان الآخرين وحتى فكرته عنه ما هي إلا أفكار الآخرين عنه إضافة إلى الأحاديث التي يسمعها عنه في البيت أو في "الحومة" حيث يقول " بابا كان ناس ملاح هاكذا اهدروا عليه كامل في الحومة، يقولو عليه راجل لوكان ما جاش راجل ما يقتلوهش، يقتلو غير الرجال"

أما ذاكرته ناحية أبيه فهي عذراء يحاول محمد أعمارها بذكرى واحدة لكنها ليست من وحي خياله بل من سرد جار حظر الواقعة "خطرة مدلي (أبوه) 10دج رحت نشري كوجاك، كي وليت كان هو وجارنا قدام الباب قال لي ( أبوه دائما ) سلم علي، أو كي سلمت عليه قستو بالكوجاك، ضحكو علي في زوج ".

فهو الحدث الوحيد الذي يجمع الأب و الابن في خيال هذا الأخير فرغم أنه يتذكر أن والده قتل في نفس اليوم الذي وقع له على دفتر العلامات في نهاية السنة الدراسية الأولى ابتدائي و في ذات اليوم أيضا كان لقاء جمع ألمانيا مع فريق أخر ضمن تصفيات كأس العالم 1994 إلا أنها ذكرى دون صورة.

لكن محمد يتردد كثيرا عل قبر أبيه أكثر من إخوته، يذهب إليه في مناسبة و في غير مناسبة، ماشيا أو راكبا فهو غير بعيد جدا عن منزله، وتذكر الأم أن محمد هو الوحيد الذي زار قبر أبيه في العيدين الأخيرين، أما باقي العائلة فانهمكت في انشغالاتها.

**قصة عائلة محمد**

***قبل الحدث*** *أي قبل 12 عاما كانت عائلة محمد مكونة من أب وأم و9 ابناء4 ذكور أصغرهم محمد و 5 إناث اثنتين منهن أصغر من محمد أم محمد هي الزوجة الرابعة حيث تزوج أب محمد في المرة الأولى من امرأة لم يلبث أن طلقها ثم تزوج ثانية ليرزق من الزوجة الثانية بطفل وطفلة لكن شاء القدر أن تموت ليتزوج الأب بامرأة ثالثة ربت له الطفلين. و لما بلغ عمر الطفل 19 عاما و عمر الطفلة 14 عاما أتى الأب بزوجة أخرى و التي كانت أم محمد و التي رزق منها بتسعة أبناء.*

هاجر الأب إلى الكويت ليعمل هناك لكن عند قيام الحرب مع العراق عاد إلى أرض الوطن حاملا معه مرض السرطان الحنجرة. فأجريت له عملية جراحية استأصلت على إثرها حنجرته وعوضت بجهاز اصطناعي، ثم و نظرا لمرضه أحيل إلى التقاعد كما منحت له قطعة أرض ليبني عليها مع ابنه الأكبر منزلين يفصل بينهما حائط احدهما للزوجة الثالثة مع أبناء الزوجة الثانية ( المتوفاة ) والمنزل الآخر للزوجة الرابعة و أبنائها.

فلم تكن ظروف الحياة في العائلة يسيرة جدا ولم تكن مأساوية أيضا حيث تزوج الابن الأكبر والبنت الكبرى (أبناء الزوجة المتوفاة).

في إحدى الليالي الإرهابية التي صارت تقليدا في المنطقة آنذاك طرق باب المنزل جماعة متنكرة في زي شرطة فطلبوا خروج الأب ثم أخذوه معهم ليجدوا في الصباح جثته مرمية في الشارع – هكذا قصها محمد-.

*بعد الحدث انقلب البيت فجأة رأسا على عقب لم يذهب الأبناء إلى المدرسة في صباح يوم الحدث ( و الذي امتد لفترة طويلة ) و جرت الجنازة في ضر وف محزنة حيث لم يحضرها الكثير من الناس كما لم يأتي أقارب الأم و لا حتى بعض أقارب الأب خوفا من الإرهاب. والأسوأ أصبحت العائلة خطرا يهدد كل من يقترب منها و يهدد أفرادها في حد ذاتهم فلم يكن لا الجيران ولا الأقارب يقتربون منهم، لم تتحمل الأم هذه الضر وف فحملت- بعد مضي أقل من أسبوع – أغراضها وأبنائها و غادرت إلى بيت أهلها – بكت كثيرا وهي تروي وتستعيد هذه الذكريات -. هناك في بيت الأهل لم تكن الأوضاع ملائمة فالدار الضيقة لا تسع عشرة أفرادا إضافيين و ما ضعف الضغط على الأم كان الرغبة الملحة للأبناء في العودة إلى منزلهم. كلها كانت ظروف دفعت*

*الأم للاستسلام لرغبة أبنائها ولقدرها " قلت نوليو و اللي كتبو لنا ربي مرحبا بيه ".*

بعد أقل من شهر من الجنازة عادت الأم رفقة أبنائها إلى المنزل الذي كانت عملية إعادة إحيائه صعبة سواء ماديا أو معنويا حيث لم يكن بحوزة الأم مالا وللحصول على هذا الأخير كان لابد من إخراجها من المصرف ما لم يسبق لغير الأب أن قام بذلك وهي تحديدا لم يسبق لها أن ذهبت لأبعد من السوق الذي يبعد ب 100م عن المنزل. و حتى لما كانت تذهب إليه كانت تسرع ذهابا و إيابا نتيجة اللا أمن السائد في المنطقة كما لم يسبق لها أن ذهبت لمكان آخر غير هذا السوق.

فعاشت العائلة بصدقات الجيران الذين تجرأوا على المجيء إليهم بعد مرور زمن من الحدث و الإتيان لهم بالطعام من وقت لآخر كما حدث وأن أوقف الابن الأكبر(17عاما يوم الحدث) دراسته و اشتغل مباشرة بعد مقتل الأب في النجارة فساعد بمبلغ بسيط رغم أنه لم يمنع البيت من السير من سوء لأسوء، و هو الأمر الذي لم يترك خيارا أمام الأم. فقررت بعد 6 اشهر من وفاة الزوج أن تذهب لتطالب بحق الفريضة (فريضة ضحايا الإرهاب) و بحق تقاعد الزوج و بعد عناء كبير وشجاعة و جرأة أكبر من الأم تحصلوا على الفريضة. كما تحصلوا على تقاعد الأب, و الذي كان و لا يزال محدودا جدا.

منذ البداية، لم تكن الحالة النفسية للأم أقل سوء من الوضع المادي. كان الخوف الشديد و التهديد الدائم لا يفارقها فكانت ترتعد وتنتفض لأدنى الأصوات خاصة الطرق على الباب و ما كان يثقل كاهلها كان تحملها لمسؤولية أبنائها دون أن يتحمل أحد مسؤوليتها. فكانت بأمس الحاجة إلى الدعم المادي و المعنوي أيضا " كنا كامل نخافوا (هي و أبنائها) بصح الخوف تاعهم و الخوف تاعي ماشي كيف، كيف أنا كنت نخاف كثر منهم خاطر كي يسمعوا رصاص ولا... يشدوا في، بصح أنا فيمن نشد "، فأصبحت تعيش في ضغط وخوف دائمين دفعها للذهاب الى طبيبة نفسانية وصفت لها منوما. تناولت الأم المنوم بضعة أيام أحست خلالها أنها تنام بعمق لكن راودتها فكرة أخافتها جعلتها توقف تناول الدواء " لو كان نرقد كاش ما يصرى و لا كاش ما يديروا لولادي أو ما نفيقش" فدفعها حرصها الشديد على حماية و سلامة أبنائها إلى إيقاف تناول المنوم و مواجهة واقعها و قدرها مجردة من أي سلاح إلا سلاح الإيمان

– حسب قولها – فتذرعت إلى الله بالصلاة التي لازالت متمسكة بها إلى غاية اليوم.

بعد مدة من ايقاف تناول المنوم ظهرت بقع بيضاء على الجلد الأسمر للأم و أخذت هذه البقع البيضاء بالتوسع على حساب جلدها الأسمر فأقلقها هذا العرض فراجعت الطبيب الذي أخبرها أنه ناتج عن القلق وهو ما يعرف بمرض البرص. و لازال البياض الناصع يزحف في كل جسم الأم لغاية اليوم.

منذ الصباح الأول الذي عقب مقتل الأب لم يذهب الأبناء (ما عدا محمد) إلى المدرسة حيث كانوا كلهم متمدرسين باستثناء الطفلتين الصغيرتين اللتان كانتا دون الثالثة. وكانت الأخت الكبرى التي كانت تدرس في الاكمالية أكثرهم اجتهادا و أحسنهم نتائجا حيث كانت نتائجها دائما جيدة و متفوقة في قسمها لكن بعد مقتل الأب رفضت نهائيا الذهاب إلى الدراسة وبقيت في البيت مع إخوتها الذين كان لهم نفس الموقف.

بعد مدة ظهرت على الأخت الكبرى بعض التصرفات الغريبة عنها و التي أقلقت الأم حيث كانت تكثر من قراءة القرآن و تكثر الصلاة وخاصة كانت تكثر الاغتسال و الوضوء. كانت تغتسل لمدة طويلة و ما إن تصل لباب الحجرة لتصلي تنسى أنها توظأت فتعيد الوضوء مجددا وتكرر ذلك عدة مرات. خافت الأم على ابنتها من كثرة الماء فراحت تقول لها أن الماء قد يمرضها و الله سبحانه لن يرضيه ذلك و لكن دون جدوى فضلت تغتسل و تقرأ القرآن طوال اليوم و تكرر عبارة "ربي غضب علينا على بها صرى لنا هاكذا. ربي غضب علينا".

لما اقترب العام الدراسي من نهايته و تحديدا مع نهاية الفصل الثاني بدأت تصرفات الأخت الغريبة تختفي ليحل محلها رغبة ملحة في العودة إلى الدراسة. أصرت على العودة، هذا ما وضع الأم مجددا أمام شقاء و عناء كبير في سبيل إرجاعها إلى الدراسة، و كان الأمر صعبا بسبب الانقطاع الطويل عن الدراسة( طوال الفصلين الأولين) خاصة و أن العام الدراسي أوشك على النهاية. فضلت الأم تتنقل بين الأكاديمية و الاكمالية. طالما اضطرت للوقوف ساعات تحت أشعة الشمس أمام باب الأكاديمية و طالما ترجت العاملين بها وبالإكمالية، ليشفع لهم في الأخير كونهم ضحايا إرهاب و تتمكن من إرجاع البنت الكبرى ومن ثم إخوتها. عادت الأخت الكبرى إلى الدراسة واسترجعت مستواها بسرعة، و تمكنت من الحصول على شهادة الباكالوريا ولم تضعف الظروف القاسية من إرادتها

في مواصلة دراستها فواصلت دراستها الجامعية في ضل ظروف مادية وأمنية صعبة حيث طالما اضطرت لمراجعة دروسها ليلا لضوء الشمعة خوفا من أن يلمح الإرهاب ضوء الكهرباء, و طالما شعرت الأم بالخوف على ابنتها من خطر التنقل في تلك الظروف بين المنزل و الجامعة البعيدة. فسعت حتى تمكنت في الأخير من الحصول لها على إقامة جامعية قريبة من جامعتها لكن البنت من جهتها لم تكن أقل قلقا و خوفا على أهلها فكانت تتصور دائما أنها ستجد أمها و أخوتها مذبوحين عند عودتها للمنزل ما جعلها لا تطيل البقاء في الإقامة الجامعية بل كانت تسرع دائما للعودة و الاطمئنان على أهلها.

ذات مرة وهي تدرس في البيت سقطت البنت من الكرسي وتحول لونها إلى أصفر و شفتاها إلى زرقاوين و بدأ كل جسدها بالاهتزاز. لم تفهم الأم ما حدث لابنتها الفكرة الوحيدة التي اجتاحت تفكيرها "عمبالي راهي تموت" فخرجت تطرق أبواب الجيران وهي تصرخ "بنتي تموت" فجاء الجميع لكن لم تلبث طويلا حتى عادت إلى حالتها الطبيعية و كأن شيئا لم يكن، لتعود الأزمة بعد أسابيع لكن بصفة أكثر خطورة حيث كانت تنزف دما من فمها. فحملتها إلى المستشفى فاقدة الوعي، حيث لم تتمكن من الإجابة على أسئلة الطبيب و بعد الفحوص اتضح أنها تعاني من "نوبات الصرع" فوصف لها دواء و هي لا تزال تتعالج عليه لغاية اليوم.

رغم المرض الذي أضيف إلى قائمة العوائق التي صادفتها البنت في دراستها إلا أنها صمدت حتى حصولها على شهادة الليسانس وسندها في ذلك كان الأم التي كانت ترافق ابنتها مرات كثيرة إلى الجامعة خوفا عليها من أن تعاودها النوبة في الطريق فلا تجد من يساعدها خاصة وأنها أحيانا تتنقل في الظلام (قبل شروق الشمس وبعد غروبها) إضافة إلى الإرهابيين الذين يحومون في كل مكان لكن تقول الأم – شبه ممتنة – أنهم لم يتقربوا منهن يوما " قتلوا الشيخ صح بصح كانوا يشوفونا كي كنا نخر جوا بكري عمرهم ما دناولنا". تزوجت البنت بعد ما أنهت دراستها وهي الآن تشتغل معلمة بمدرسة ابتدائية وهي ناجحة في حياتها.

يتذكر محمد أن أباه قتل في ذات اليوم الذي وقع له على دفتر علاماته في نهاية السنة الأولى من تعليمه و في ذات اليوم أيضا بدأ أخوه الأكبر امتحانات شهادة التعليم المتوسط و التي لم ينهيها و لما بعثت له المؤسسة ليعيد السنة لم يرجع و توجه للعمل ليساعد أسرته ولم يكن الوحيد و بل

كل الإخوة انقطعوا عن الدراسة ماعدا محمد وكما ذكر سابقا فالأخت الكبرى طلبت في الفصل الأخير العودة للدراسة فأرجعتها الأم و ثم أرجعت الأختين الأخرتين اللتان لم تلبثا كثيرا حتى خرجتا نهائيا لأنهما فقدتا طعم الدراسة بعد الانقطاع عليها مدة طويلةا – حسب قول إحديهما –. فتزوجتا بعد خر وجهما و كان في عمرهما 17 و 20 سنة و رزقتا بأطفال في حين واصلت الأخت الكبرى دراستها و تزوجت بعد إنهاء دراستها و الثلاثة يعشن مع أزواجهن في ضل ظروف مادية أحسن من تلك التي يعيش فيها أهلهن.

أما الذكور فأرجعت الأم الأخوين الآخرين لكنهما لم يلبثا طويلا هما أيضا و فضلا الخروج و الالتحاق بأخيهما الأكبر الذي لم تحاول الأم إرجاعه كإخوته نظرا لحاجتهم لعمله "و هو ما قالش رجعوني وأنا ما حوستش عليه، الله غالب". فضل الأخ الأكبر يشتغل إلى أن أصيب ذات ليلة بأزمة صحية سببت انفجار "القلنسوة" في بطنه. إن سوء الأوضاع الأمنية بوجود الإرهاب في الخارج منعهم من إسعافه مباشرة بل انتضروا حتى الصباح ما كاد يودي بحياته. فاجريت له عملية جراحية وهو حاليا يحضر لمشروع زواج.

كان عمر أحدا البنتين الأصغر من محمد 9 أشهر يوم الحدث. فهي حسب الأم "لم" و "لا" تعرف أباها أما الأخرى التي كان عمرها آنذاك 3 سنوات و نصف فقد كانت أقرب الأبناء إلى قلب الأب فكان يدللها كثيرا، كانت تقريبا لا تفارقه خاصة وأنه كان دائم المكوث في البيث (بحكم تقاعده) حيث تجلس معه وتأكل معه و حتي تنام معه. بعد الحدث كانت الأم تتألم للغاية عندما تسمع البنت تهدد أحد إخوتها بأن تشكوا لأبيها عندما يرجع لما كان أحدهم يقوم بإزعاجها، فقامت الأم يوما بأخذها إلى قبر أبيها و قالت لها "هاذا هو باباك " فردت البنت" لا لا هذا تراب ماشي بابا هذا تراب " و كبرت الطفلة – حسب الأم دائما– و بدأت تستوعب فكرة موت الأب، لكن عندما التحقت بالمدرسة كان المعلم دائما يبعث للأم و يخبرها أن الإبنة تبكي دون سبب في القسم و استمر هذا السلوك في السنوات الأولى من تمدرس البنت قبل اختفائه نهائيا. و حاليا فهتان البنتين تدرسان في الإكمالية و نتائجهما أحيانا متوسطة و أحيانا أقل من المتوسط فهي متقاربة مع نتائج محمد و هما البنتين المتبقيتين مع الأم (بعد زواج الثلاثة الكبار) مع الذكور الأربع.

المشاكل التي تعاني منها عائلة محمد مادية بالدرجة الأولى فالأخ الأكبر يعمل بالنجارة و الأخوين الآخرين يشتغلان في مكتبة استاجراها لكن غالبا لا يوفون مصاريفها و العون الوحيد هو تقاعد الأب المحدود. كلها عوامل تقلل من حظوظ الأبناء في الحصول على مستقبل أو حتى حاضر أمن خاصة و أن الربيب يريد إخراج زوجة الأب و أبنائها من داره التي بناها هو. فمنعهم من مواصلة البناء (الطابق الاول...) كما تتخوف الأم كثيرا من تهديده إدخالها للسجن لأنه لم ينل نصيبه من فريضة ضحايا الإرهاب التي منحت للأم فاشتد الصراع بين الأسرتين وما زاد الطين بلة هو غضب الربيب من زوجة الأب لأنها زوجت بناتها دون أخذ رأيه. كل هذه العوامل جعلت عائلة محمد تعيش في وضعية اقتصادية حرجة.

**ج- النتائج الدراسية**

لاحظنا في الدراسة الأولى أن نتيجة محمد التي تحصل عليها قبل الحدث وهي 6,59/10 انخفضت بعد الحدث إلى 4,40/10 وارتفعت بعد عام من الحدث إلى 5,5/10 ليحافظ محمد على هذا المستوى في السنوات الموالية إلى أن يتحصل على شهادة التعليم الأساسي بمعدل يتذكره جيدا وهو 11,83/20.

انتقل محمد إلى السنة السابعة لكن معدله لم يتم العشرة فأعاد السنة ليتحصل في العام الثاني على معدل عام 11/20 يمكنه من الانتقال إلى السنة الثامنة التي يتخطاها بنجاح حيث تحصل على 10/20 الذي يمكنه بدوره من الانتقال إلى السنة التاسعة أين يتعثر مجددا ويتراجع معدله العام إلى 9,31/20 و يتحصل في شهادة التعليم المتوسط على 7,28/20 فيعيد السنة التاسعة و يقوم بتحسين مستواه ورفع معدله العام إلى11.

في السنة الأولى ثانوي تحصل على معدل عام 8,28/20 ما أدى به لان يعيد السنة حاليا و لقد تحصل في الفصل الأول من هذا العام على معدل 9/20.

**مناقشة حالة محمد**

تعرضت عائلة محمد بعد مقتل الأب إلى التدهور على كل الأصعدة بدء بالحالة الاقتصادية و الحالة النفسية و الجسدية للأفراد وحتى الحالة الدراسية للأبناء، لكن هذه الأخيرة تمكن فردين من الإفلات منها وهما

محمد والأخت الكبرى فالأخت كانت تلميذة مجتهدة جدا قبل الحدث ورغم انقطاعها بعد الحدث عن الدراسة مدة فصلين تقريبا، إلا أنها تمكنت بسرعة من استرجاع مستواها و تمكنت من الانتقال في نفس السنة حيث قامت بامتحانات الفصل الثاني وداومت في الفصل الثالث وحسب معدلها العام اعتمادا على الفصلين والذي كان مشرفا جدا وواصلت دراستها على نفس الوتيرة وحصلت على شهادة الباكالوريا وواصلت دراستها الجامعية. بالمقابل نجد أن بعد الحدث محمد كان الوحيد بين إخوته الذي تردد للمدرسة – "كنت نروح للمسيد ما كنت فاهم والو" – لكن نجد أن نتائجه في الفصلين الأول و الثاني أقل من المعدل لكنها ترتفع في الفصل الثالث الذي يتوافق مع رجوع الأخت للمدرسة. و ضلت نتائجه مرضية فيما بعد ما توافق أيضا مع نتائج الأخت فالأخت كانت تدعمه دائما وتحثه على الدراسة التي ستمكنه من حماية نفسه من الحياة. كما نلمس الفخر في كلام الأم و بناتها عن الأخت التي أصبحت معجزة الأسرة حيث تمكنت من الحصول على الباكلوريا ومواصلة دراستها العالية رغم الظروف والصعاب. و هو نفس ما نحس به عند محمد الذي يعتز كثيرا بأخته الجامعية و يحبها كثيرا ومتأثر بها. فحتى تعثره الأول تزامن مع بداية مرضها لكنها ضلت تشجعه و لازالت تفعل لحد الآن لأنها لم ترزق بعد بأطفال لدلك فتهتم جدا بإخوتها الصغار خاصة محمد فتتصل به دائما وتشجعه. أما تعثره الثاني فهو يرجع إلى ضعفه في الرياضيات و عدم اكتسابه قاعدة في الإنجليزية والفرنسية التي تضاعفت صعوبتها في السنة الثالثة متوسط وهي نفس المواد التي كانت فيها الأخت تعاني من الصعوبة. فتقول الأم أن الأخت نادمة على عدم تعلمها للغات – "تقول لي دايما لوكان نولي للور كنت نقرى ونتعلم الفرنسية" – ونفس السيناريو يتكرر في الثانوية التي يلتحق فيها محمد بشعبة آداب مثل أخته لكن نفس المشاكل تتسبب في تعثره. لكن محمد يحس أنه متمكن في اللغة العربية فيعزز ذلك إرادته في النجاح و يتذكر دائما عبارة أستاذة للغة العربية درسته في الاكمالية "كنت قاعد في الطاولة الأولى هي قعدت تخزر في من بعيد أومبعد جات لي وقالت لي ب.ز على بالك انت رايح تنجح" فتشجعه هذه العبارة و أحسن علاماته خلال كل مشواره الدراسي هي في العربية.

إلى جانب دعم الأخت كان هناك عامل آخر دعم محمد في الصمود رغم تعثره المتكرر وهو تماسك الأسرة و احتواء الأم لأبنائها فنجدها

رغم أنها بدون أي مستوى تعليمي إلا أنها مطلعة على بعض التفاصيل والنقاط الدقيقة في البرامج الدراسية التي يدرسها محمد وبناتها الصغيرتين أو حتى ابنتها الكبرى مثل كيفية إنجاز البحوث والتقويمات ونلاحظ من خلال تعاملها مع أبنائها فقد أتيحت لنا أكثر من مرة فرصة حظور طريقة مخاطبتها لأولادها التي كانت بنبرة جادة ر لكن دون قسوة فنجدها تراقب خروج و دخول بناتها وتمنعهن من الخروج دون حجاب. ونفس الشيء مع الكبار المنصاعون لأمهم و يعملون كلهم من أجل مصلحة البيت دون تذمر، رغم بعض العصبية أحيانا التي تجدها الأم طبيعية عند الشباب. لذلك فعلاقتهم بها جيدة خاصة محمد الذي ترى فيه صورة الشيخ من خلال ترجله و سلوكه نحو الآخرين و علاقتهم فيما بينهم جيدة فأثناء المقابلات كان الإخوة يمازحون محمد قبل بدئ المقابلة – قرى مليح بلاك تغلط – كما يعمل بالمكتبة معهم و يحس بالراحة هناك.

كما هناك عوامل دعم أخرى لا تقل أهمية كمزايا شخصيته المتسمة باللطف و الاحترام و الهدوء ذلك جعل أساتذته لا يشتكون منه و يدعمون دائما فكرة إعطائه فرصة بعد كل تعثر، كما نشير أن ميزة اللطف والتقبل للآخرين هي ميزة مشتركة لكل العائلة. فعائلة محمد من النوع الذي يتقبل الآخرين ويكرمون ضيفهم حتى من العدم.

***ب – أمين: حالة أقل ارجاعية*** *(un cas de moindre résilience)*

أمين فتى يبلغ من العمر18سنة، قتلت عائلة والدته خلال مجزرة الرايس بسيدي موسى، كان يحب أخواله كثيرا ومتعلقا جدا بجده. وقد حدثت المجزرة بعد يوم واحد من عودته من عندهم حيث كان يقضي عطلته الصيفية عند جده وكان في عمره 10 سنوات. توقف المسار الدراسي لأمين في مستوى السنة الثالثة متوسط.

يبدو أمين قوي البدن ومهتما بلياقة مظهره حيث يرتدي سراويل الجينز العصرية ويسرح شعره كما يفعل باقي المراهقين. تبدو ملامح وجهه قاسية بعض الشيء و نظرته جافة ويرفض التحدث عن الحدث.

يحتل المرتبة الأخيرة بعد أخوه وأخواته الأربعة، أمه تعمل أحيانا طاهية في المناسبات و الأفراح وأخوه متزوج وله ابنة وأختيه الكبيرتين عاملتان، واحدة شرطية والأخرى سكرتيرة أما الصغيرتين فماكثتان

بالبيت وأحداهما مخطوبة و تحضر لزواجها. والد أمين يعاني من الانهيار العصبي منذ سنوات طويلة.

يعيش أمين في بيت متوسط مع عائلته، وفي الواقع تأثرت عائلته اقتصاديا بعد المجزرة لأن الجد هو الذي كان سند الأم في مصاريف بيتها حيث أن والد أمين مريض و لا يعمل ذلك ما دفعها إلى العمل بعد المجزرة في سفارة إيطالية. بعدها تحصل أبنائها على مناصب عمل فتحسنت الحالة الاقتصادية للأسرة التي حاليا لا تعاني من مشاكل مادية كبيرة.

أمين لا يتناول دواء معينا و لا يعاني من أي مرض محدد غير بعض آلام الرأس التي يشكو منها أحيانا إلا أن أمه تقول أنه يعاني أحيانا من "الخباط" مثلها و تحكي أنه منذ فترة استيقظ ليلا و أحس أن قلبه يخفق بشدة فأخافه ذلك فتوجه إلى طبيب القلب مباشرة في الصباح دون أن يخبر احد ليكشف و يطمئن على سلامة قلبه وطمئنه الطبيب وفي عودته أخبر والدته.

غادر أمين مقاعد الدراسة منذ 3 سنوات في مستوى السنة الثالثة متوسط،. بقي أمين مدة يدور بين شوارع منطقته ثم بدأ يعمل في قاعة بيتزيريا ليدبر مصروف جيبه. وحاليا يعمل مع أخيه الذي يملك صالونا للحلاقة، وتقول والدة أمين أنه ملتزم جدا في صلاته ولا يفوت أي صلاة التي يصليها في المسجد أو في البيت أحيانا. أمين قليل المكوث في البيت يقضي تقريبا كل وقته في الخارج و حتى ساعات متقدمة من الليل مثل العاشرة أو الحادية عشر. والدة أمين وأخته الشرطية تخافان عليه من الصحبة السيئة إلا أنه لم يسبق أن جلب لأخته الشرطية المتاعب ولم يسبق أن سرق مالا من أمه أو سلك سلوكا منحرفا.

تقول الأم أن أمين عابس الوجه وعصبي و جاف المشاعر مقارنة بأخيه الحنون، لا يمازح أخواته و لا يختلط كثيرا بهن ويفرض سلطته عليهن حيث يراقب خروجهن ودخولهن و سلوكهن الذي ينتقده غالبا حتى وإن كان طبيعيا لكن لاحظت أنه من فترة قصيرة بدأت تنفك قليلا حدة طبعه وأصبح يستمع للغنى الذي كان يحرمه على أخواته و يقبلها أحيانا.

أمين مولع بالرياضة خاصة تمرين العضلات. تقول الأم انه لا ينقضي نهار قبل أن يأخذ حقيبته ويتجه لقاعة الرياضة أين يقضي فيها ساعات طويلة.

تقول الأم أنها هي التي تفكر في مستقبله و تحاول إقناعه بالتكوين في مجال معين لكنه في البداية لم يأخذ المسألة بمحمل الجد و اكتفى بعيش حاضره أما الآن فانه يفكر جديا في التكوين و يحاول اختيار التكوين المناسب.

**قصة عائلة أمين**

لما كان في عمر والد أمين 16 سنة تعرض لحادث سيارة سقط في إثره على رأسه فدخل في غيبوبة عزلته عن العالم لفترة من الزمن، ليصحو منها ويدخل في عزلة أخرى حيث تم جبره من قدميه إلى أعلى صدره خلال أشهر طويلة بسبب حدوث كسر في أسفل ظهره. ما أقعده في الفراش دون حراك طوال تلك المدة ما جعل منه عدوانيا فكان يصرخ ويحطم أو يرمي أي شيء كان يكون بالقرب منه. بعد إزالة الجبر وشفائه بدأت تظهر علية عصبية متزايدة استمرت بالتزايد حتى بعد زواجه بوالدة أمين لكن هذه الأخيرة كانت واسعة البال وتعلمت كيفية التعامل معه بطريقة مثمرة وايجابية فحافظت على حياتها الزوجية ورزقت بأربعة بنات وولدين.

كان الوالد يعمل بإحدى الشركات التجارية في منصب مرموق ليتم بعد 25سنة أقدمية تنحيته من منصبه ووضعه في منصب اقل منه في الشركة، حاول الأب استعادة منصبه فلم يتمكن فلم يتقبل عقله وضعه الجديد فأصيب بانهيار عصبي أوصله إلى مستشفى الأمراض العقلية وحجزه فيها عدة مرات وجعله عبد المهدآت والمنومات لغاية اليوم. فوترت حالته النفسية دوامه للعمل فكانت الأم تأخذ له أجازات مرض وتحرس على دوائه وتوفير له جوا هادئا في المنزل. كما كانت ترافقه إلى المستشفى في تلك الضر وف التي بدأت فيها بوادر ظاهرة الإرهاب تظهر في المنطقة،حيث تذكر أنهما في إحدى المرات التي قصدا فيها المستشفى ركبا في قطار على السابعة صباحا وفي الطريق وفي منطقة معزولة جدا لم يكن يحيط فيها بطرفي السكة الحديدية غير أشجار البرتقال توقف القطار فجأة فضنا في تلك الوهلة أن ساعتهما وساعة كل من بالقطار قد حانت لكن بعد مدة انطلق القطار مجددا ولم تعرف و لا تعرف لغاية اليوم سبب توقف القطار ذلك اليوم.

أزمة الزوج الصحية حالت دون قدرته على التكفل بأسرته كما انه كان مبكرا على حقه في التقاعد لكن والد الزوجة الميسور الحال لم يترك

ابنته للعوز فكان يقدم لها مساعدة منتظمة. فقد كان شيخا أرملا ميسورا يتقاضى تقاعده إلى جانب مبلغ شهري عن حادث عمل تعرض له ما مكنه من بناء مملكة صغيرة لم بها أبناءه الثلاثة المتزوجين في بيتين أحدهما كبير سكن في طابقه السفلي هو مع ابنه وزوجته وولده، أما الطابق الثاني فكان لابن آخر مع زوجته وبناته الأربعة و ولده أما البيت الصغير فكان للابن الثالث و ولده و زوجته. يحيط بالبيتين حدائق وأشجار و أصوار، و كانت الحالة الاقتصادية للأبناء جيدة، كما كان لوالدة أمين أختين متزوجتين وتسكنان في نفس منطقة سكن جد أمين.

لما ولد أمين أحب كثيرا الذهاب لبيت جده الذي يجد فيه المتعة في اللعب بين حدائقها و أشجارها و الحرية في مساحتها الواسعة وخاصة كان متعلقا كثيرا بجده الذي كان يلبي له رغباته و يمنح له الهدايا و المال فتقول الأم انه تربى هناك و قضى طفولته الأولى والثانية هناك. بعد أن دخل إلى المدرسة كان ينتهز فرصة كل العطل الفصلية للذهاب إليه.

وككل صيف ذهب أمين إلى بيت جده بعد نهاية السنة الرابعة أساسي ليقضي العطلة و بعد مدة من وجوده هناك اتصلت الأم بأخيها طالبة منه أخذها إلى موعدها مع الطبيب بسيارته حيث كان يحبها كثيرا ويحب خدمتها و مساعدتها وبالمرة طلبت منه جلب أمين معه الذي في البداية رفض الرجوع و ود المكوث أكثر عند أخواله.

وفي السابعة من صباح ذلك الأربعاء وصلت سيارة الأخ أمام البيت حرصا على عدم تفويت أخر موعد طبيب يصطحب أخته إليه وليعيد أمين إلى أمه. فأخذها إلى الطبيب وفي عودتهما تحايل وبل ألح عليها للذهاب لقضاء بضع أيام معهم فلم توافق على الذهاب في نفس اليوم لكن وعدته بالمجيء في اليوم الموالي – وتغوص نظرة والدة أمين في الأرض وكأنها ترى الموقف أمامها – ليطلب الأخ كأس ماء دون قبول الدخول للمنزل لأنه كان مسرعا فبعثت الأم بالماء لابنتها و غادر الأخ.– كما تشير والدة أمين أنه كان سعيدا جدا لان ابنه الوحيد تحصل على شهادة الباكالوريا وأنه اشترى له مكتبا مجهزا كهدية نجاحه–

وفي غد ذلك اليوم جهزت الأم أغراضها للذهاب، لكن شيئا ما منعها تقول ربما كان كرهها لضروف التنقل في تلك الفترة حيث كان لابد في كل مرة أن تمر على استجواب: وين؟، علاش؟، تولي ولا ما توليش؟...الخ من طرف العسكريين في الطرقات.

في ليلة ذلك الخميس كان الجد ساهرا مع أبناءه الثلاث و أسرهم الصغيرة وواحدة من بناته فلم ينقص في السهرة إلا والدة أمين والخالة الأخرى التي تسكن على بعد كيلومتر من بيت أبيها، والحفيدات الأربع اللواتي كن معزومات لحفل في منزل أخوالهن.

بعد ساعات من السهرة صعد الخال لطابقه مع زوجته وابنه وتعب الخال الأخر أيضا و فضل الدخول لبيته الصغير لينام ولحق به ابنه الحاصل على شهادة الباكالوريا وزوجته، ليسمع بعد مدة ضوضاء غريبة وأصوات تتعالى لتصبح في غضون دقائق طلقات رصاص ومتفجرات وينقطع التيار الكهربائي و دون فاصل زمني تليها عملية كسر الأبواب دون ترك الفرصة للهرب حيث كان عدد الجماعة المسلحة كبيرا جدا تمكن من تطويق كل المنطقة وكل ما فيها من بيوت في مدة قصيرة. ففي المنزل الصغير وجد الأفراد الثلاثة مقتولين في مضاجعهم الخال والزوجة و الابن وتتخيل والدة أمين مشهد مقتل أخيها كما كان يفعل دائما – خويا دوش لبس القندور ديالو صلى تكسل اشوف التلفزة مع امراته زدموا عليهم قتلوهم – ثم أشعلوا النار في البيت.

أما في البيت الكبير فكانت الأحداث أطول، حيث تحولت السهرة في غضون دقائق إلى فر وكر، ففي الطابق السفلي ما إن بدأت الضجة على الباب حتى أسرع جد أمين وخالته إلى الحمام و أغلقا الباب من الداخل في حين صعد الخال وابنه إلى شرفة الطابق الثاني ورميا نفسيهما بين الأشجار لحقت بهما زوجته وطلبا منها رمي نفسها لكن لم يكن لها الشجاعة الكافية لفعل دلك و قررت النزول عبر السلالم فاصطدمت أمام الباب بمجموعة اقتحمت البيت. حاول احدهم اغتصابها لكنها قاومت فتلقت ضربة بالشاقور على رقبتها أوقعتها أرضا، وكان زوجها يستمع لما يحدث لأنه لم يبتعد كابنه بين الأشجار بل فضل الاختباء في حجرة الخردوات القديمة في الحديقة والتي تغلق من الخارج فتمكن من سحب القفل وغلقها من الخارج.

سرعان ما انتشر عدد كبير من المسلحين في كامل أرجاء البيت صعد بعضهم إلى الطابق الثاني و اصطدم بعضهم بباب واحد مغلق وهو باب الحمام، فأطلقوا النار على القفل واخترقت إحدى الرصاصات كتف الخالة التي حاولت شد الباب بجسدها فسقطت أرضا ونزفت دما ثم رموا قنبلة يدوية إلى الداخل ليفتح الباب على إثرها و يجدوا امرأة مرمية تبدو ميتة وشيخ شبه ميت ففضلوا ذبحه وأشعلوا النار في البيت.

وفي الطابق الثاني أسرع الخال الآخر إلى المطبخ و احضر سكينا ثم صعد مع زوجته وابنه السمين الذي كان يبلغ من العمر 16 سنة إلى السطح لكن تمكن المسلحين من لمحهم في الظلام وكما تعبر الأم – اشمو لعباد – فلحقوا بهم تعارك الخال مع احدهم كان يحمل سيفا وتمكن من تجنب السيف وغرس سكينه في مكان ما من جسد الإرهابي لا يتذكره أو ربما لم يعرف أين بالمرة، لان المهم له في ذلك الوقت كان تعطيله ليتمكن من القفز من الشرفة والاختباء بين أشجار الموز. أما زوجته فبلغت السطح مع ابنها أين اختبأ في مساحة صغيرة فصلت جدار السطح بجدار غرفة السطوح و تغطيا بالعجلات الموجودة هناك. عند وصول المسلحين بدأوا يبحثون عنهما وقبل أن يصلوا لغرفة السطوح نفذت بطارية مصباحهم كما أنهم بدأوا يسعلون نتيجة الدخان الذي بدأ يخترق السطح ففضلوا النزول. في حين بقيت الأم وابنها في نفس المكان دون حراك ودون سعال رغم أن رائحة الدخان كانت قاتلة ففضلت الأم الموت برائحة الدخان أو على أنقاض البيت على أن تقع في أيديهم.

وعند خروج المسلحين من البيت مروا على حجرة الخردوات ففتحوها لكن لم يبحثوا داخلها بتمعن لأنهم استبعدوا إمكانية اختباء احدهم فيها بما أنها مغلقة من الخارج، لكن ذلك لم يمنع احدهم من اقتراح رمي قنبلة يدوية إلى الداخل فضن الخال انه هالك لا محال لكن لحسن حضه لم يفعلوا.

إن الظلام الحالك ساعد العديد من الهرب كما ساعد على نجاة المناطق الأخرى. فعلى بعد كيلومتر وعلى اثر سماع الرصاص والقنابل أسرعت خالة أمين الأخرى إلى سطح بيتها العالي، لتفجع برؤية بيت أخوها يحترق و تبدأ بالنواح فسحبها زوجها – مجاهد الثورة – وأنزلها إلى الخارج حيث كان رد فعل تلك المنطقة سريعا و صارما، إذ تم إخراج كل النساء و الأطفال وجمعوا في نفس المساحة وأحيطوا بالرجال الدين تسلحوا بكل أنواع الأسلحة التقليدية سكاكين شاقور كنائس... ثم أشعلوا النار في العجلات كتحذير للمسلحين من محاولة التفكير في الاقتراب.

فكانت الساعة تقترب من الخامسة واقترب الضوء أن ينجلي فقرر المسلحون الانسحاب، و نجى الخالين وابناهما والزوجة المختبئة تحت العجلات والخالة التي أصيبت بالرصاصة أما المملكة الصغيرة فقد احترقت بأكملها.

استيقظت الأم صباحا كان صباحا صيفيا و الجميع نائمون فراحت تحضر القهوة دون أن يخطر ببالها تشغيل التلفزة رغم أن من عادتها فعل ذلك، وجلست تحتسي فنجانا إلى أن أخذ أحدهم يطرق على الباب بشدة وكانت الساعة قد قربت على الثامنة أسرعت لفتح الباب وإذا بنسيبها (زوج أختها المجاهد) يسرع بالدخول والجلوس على مائدة صغيرة، لازالت موجودة لغاية اليوم وعلى وجهه أسوأ تعابير يمكن أن يحملها حاول إعلان خبر لكن خانته قدرته على الكلام فراح يشير بيديه للقتل والذبح مع مقاطع كلمات تمكنت الأم من خلالها فهم وحشية شيء ما قد حدث لأهلها. فأحست بالذعر – "جسيت ماراني في السماء ماراني في الأرض" – أحست بالانشطار عن عالمنا وعن ناسه، فبعد ساعات قليلة بدأ الناس والمعارف يتوافدون للتعزية وسرعان ما تعمر البيت بالمعزين لكنها لم تكن تتعرف عليهم – "كانوا بزاف غاشي كل بيت كانت ترفد كثر من 60 واحد كنت نشوفهم بصح ما نعقلهومش وما نشفاش عليهم"–.

في نفس اليوم طلب من أهالي ضحايا المجزرة المجيء إلى مقبرة العالية للتعرف على الضحايا، فرفضت أم أمين قطعا الذهاب، غير أن أخوتها أصروا عليها أن ترافقهم لتخضع لرغبتهم في الأخير ويذهبوا مساء ذلك الجمعاء لكن لم يتمكنوا من التعرف عليهم، ولم يكن لذلك اليوم نهاية فاستمر على حركته وآلامه ليمتد بنفس الأجواء لنهار غد.

رجعت الأم مع إخوتها صباح السبت ليكون أسوأ سبت في حياتها، رسخ في ذهنها إلى الأبد – "كنا نحوسوا عليهم كان لازم نصيبوا بابا نصيبوا خويا (وهي موجهة نظرها إلى الأرض وتتباطأ كلماتها) نصيبوا وليد خويا امرأة خويا و امرأة خويا الاخر ...(سكتت قليلا) وكي صبناهم ... هذك الصورة ( أغلقت عينيها وأخذت تضرب جبهتها بيدها و الألم يرتسم على وجهها) راهي هنايا ما ننساهاش كامل في حياتي – لم تتحمل الأم رؤية جثث عائلتها ولما وقعت عيناها على شرطي واقف غير بعيد عنها حاملا مسدسا في حزامه فقدت السيطرة على نفسها فهجمت على الشرطي محاولة تجريده من مسدسه صارخة – علاش راك رافد هاذا يخي كنتوا تعسوا عليهم علاش علاش واش كنتوا تديروا طول الليل..."– . ضلت الأم تشد الحزام بقوة لم ولا تفهم من أين جاءتها كل تلك القوة حاول أربعة أشخاص سحبها بما فيهم الشرطي الذي حاول تخليص نفسه لكن لم يتمكنوا إلا بعد عناء طويل.

عادت الأم إلى الدار الذي كان لا يزال مليئا بالمعزين، نصف واعية، تمددت على السرير وكان الانهيار و التدهور باديا عليها فأرادت جارتها الممرضة التخفيف عليها بحقنها حقنة مهدئة لكن قبل أن تتمكن من غرزها في عرق الأم استدارت الأم فجأة وبحركة عنيفة رمت الحقنة خارج البيت و هي تصرخ – ما نحبش نرقد حابة نقعد فايقة باش نشوفهم قبل ما يدفنوهم – فدفن الضحايا وحضرت الأم.

بعد الحدث أصبحت والدة أمين منشطرة بين بيتها و بيت إخوتها، فقد تحصلوا مباشرة بعد الحدث على بيت يأويهم من طرف الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط، وبعد 6 أشهر تحصل كل واحد منهم على بيت لوحده، وخلال العامين الأولين من حدوث المجزرة لم تكن الأم تقضي أكثر من يومين أو ثلاثة أيام في بيتها خلال الأسبوع. كانت تذهب إلى إخوتها خاصة أخوها الذي قتلت زوجته فقد كان بأمس الحاجة إليها كما كانت دائما تزور بيتهم المحترق، وتدور فيه ساعات طويلة و كأنها تتمنى أن تجد أحدهم فيه لكنها لم تكن تعثر في كل مرة إلا على آثارهم كأساور زوجة أخيها و أسنانها الاصطناعية... التي كانت تجعلها تتصور مشاهد مرعبة عن مقتل أبيها و الآخرين، أيضا كانت تتردد أكثر من مرة في الأسبوع على مقبرة العالية وتبكي طول الوقت.

بعد المجزرة أخر شيء كان يمكن أن يفكر فيه الأبناء هو فريضة الإرهاب، كانوا منهمكين في ذكرياتهم البشعة وآلامهم لكن بعد سنتين طالبت أم أمين بها دون أن تتحصل عليها.

منذ قبل وفاة الجد كان والد أمين يتقاضى تقاعده لكن لم يكن التقاعد كافيا أحيانا، كما أن يوميات الأم أصبحت مأساوية ومحزنة ما دفع احد جيرانها إلى تدبير وظيفة لها في السفارة الإيطالية، التي يعمل فيها، منها تكسب مالا ومنها تشغل نفسها عن التفكير في الحدث. فاشتغلت الأم تقريبا 3سنوات هناك كانت تعد الطعام للشرطة التي تحرس السفارة وهي تحتفظ بذكريات سارة عن الإيطاليين. بعد اقل من 3 سنوات من عملها بدأت عناصر الشرطة المكلفة بحماية السفارة تنقص– حسب الأم – لان الأوضاع الأمنية في المنطقة بدأت تتحسن ما لم يترك داعيا لعملها في السفارة فعادت الأم إلى منزلها وعادت مجددا إلى أحزانها وبكائها.

لكن رغم ذلك، فالأوضاع الاقتصادية للبيت لم تكن سيئة جدا لان الابنة الكبرى تحصلت على منصب سكرتيرة في إحدى الشركات كما فتح ابنها قاعة حلاقة للرجال وقامت الابنة الثانية بتكوين في الشرطة مدة 9

اشهر ثم توظفت. غير أن الأم تعمل أحيانا عن طاهية في المناسبات والأعراس لتشغل نفسها.

بدأت المسافة تكبر بين أمين وأمه التي لم يعد يراها كثيرا في البيت وعندما كانت تحظر كانت دائما شاردة وغارقة في ألامها وباكية طول الوقت، فكان يأتي من المدرسة فيرمي محفظته و يخرج مباشرة.

كما كان لموضوع المجزرة الذي لم يكن له نهاية في البيت اثر عليه، فالمجزرة كان الموضوع المفضل لدى الأم خاصة عندما كان يأتي إخوتها فيعيدون في كل مرة قص المشاهد المرعبة بتفاصيلها. فبدأ أمين يشكو لأمه رؤية أخواله في أحلام مزعجة كما أنه بدأ يرفض الذهاب إلى المدرسة لأنه يخاف من أن يحرقها الإرهاب إلى جانب ذلك أحست الأم أنه كان يعزل نفسه أحيانا وكان يرفض الذهاب إلى سيدي موسى فبعد اليوم الذي احضره خاله المقتول لم تطأ قدميه ذلك البيت الذي طالما أحب اللعب فيه رغم أنه يتذكر أحيانا ذكرياته مع جده وأخواله.

والدة أمين امرأة نحيفة و جميلة من عائلة محافظة لها مستوى ثقافي لبأس به، حتى أنها تتقن اللغة الأجنبية وتمكنت من تعلم بعض كلمات اللغة الإيطالية من عملها معهم. تحب كثيرا الكلام عن المجزرة التي راح ضحيتها خمسة من أفراد عائلتها. تحب أن يفتح أحد سيرة الحدث أو أن يذكرها أحدهم به و كلما سمعت جماعة تتحدث عنه انضمت لهم لكن شرط أن يكون المتكلمون من أفراد أسرتها. فقد أصبحت بعد الحدث لا تثق بالآخرين لأنه حسبها من قتل عائلتها هم مسلمون جزائريون وفيهم ربما أعمامنا و أخوالنا لذلك تجد صعوبة في وضع الثقة في الآخرين لذلك تحترس من أن تتكلم أمام شخص قد يكون جاسوسا أو خائنا. من خلال طريقة حديثها بحركات يديها و بتعابير وجهها التي تتفاعل مع الموضوع و عينيها اللتان تغرورقان بالدموع في كل لحظة وتفصيلها بالحديث عن أدق التفاصيل و محاولتها للتعبير عن نفس التفصيل بتعابير مختلفة وعبارات مختلفة و بإشارات مختلفة نحس أن الأم لازالت تعيش في المجزرة التي لم تحضرها. فخلال المقابلات الثلاثة التي قمت بها معها لم أكن بحاجة لمقدمة أو تمهيد لفتح الموضوع أو إحيائه فيها وفي ذاكرتها كانت دائما جاهزة للتحدث عن أي تفصيل مباشرة.

عن نفسها تقول الأم أنها بعد الحدث أصبحت حساسة جدا ومرهفة أمام أي موقف مؤثر تشاهده في أي مكان حتى لو كان في التلفزة فإنها

تتألم و تحزن له. أما أسوأ ميزة اكتسبتها بعد الحدث فهي الفزع و خفقان القلب عند سماع الأصوات أو الصراخ أو الكسر خاصة في الليل. وتحكي ذات مرة ذهبت لقضاء ليلة في دار أخيها سمعت صوت مروحية تحوم في المنطقة أفزعتها و طير النوم من عينها لأنها سمعت أن قبل المجزرة كانت هناك مروحيات تحوم فوق المنازل. حاول الأخ تهدئتها لكي تنام لكنه لم ينجح فاضبطر لإعطائها حبة من الدواء المهدي التي كان يتناولها لكن حتى هذه الأخيرة عجزت عن تهدئتها وإرقادها و بل ضرتها و أشعرتها بالرغبة في التقيؤ و الضيق. أما الميزة التي تخيفها فهي التحدث وحدها حيث تجد الأم نفسها أحيانا تتكلم وحدها ورغم أن دلك يخفف عنها إلا أنها تخاف أن يقودها للجنون. وتقول الأم: "عندي زوج حوايج نخمم عليهمو، كيفاش مات بابا صح حكات ختي... بصح كيفاش الطريقة اللي مات بها؟ و الحاجة الزاوجة، شكون قتل باباب؟ علاه قتلوهم؟ خويا انسان صالح مؤمن، علاه قتلوه؟ أنا ما تطفاليش الحرقة في قلبي حتى نعرف شكون قتلوهم؟ وهذا اللي قتلهم زعما يكون صغير شيخ بلحية؟... بصح كاش نهار لابد ابان الصح". ولتخفيف معاناتها لجأت أم أمين إلى أخصائية نفسية لكنها لم تتمكن من مساعدتها.

إن المصير المشترك لأخوال أمين هو المهدآت التي يتعاطونها من الحدث إلى اليوم خاصة الخالة التي نجت و معايشتهم للحدث وكلامهم الدائم عنهم في كل مناسبة يلتقون فيها. كما أن الجميع تقريبا يعاني من الضغط, إضافة إلى المعاناة جسدية كإصابة زوج الخالة التي تسكن بقرب منزل الجد بالشلل النصفي في الجهة اليمنى بعد 6 اشهر من المجزرة. كما أصيبت الخالة بمرض النوم العميق حيث في كل مرة تغفو فيها لا تستيقظ إلا بصعوبة و يطلب الأطباء حراستها. الجميع يعاني من الشعور بالذنب بسبب مقتل الآخرين و دائما يأتون لوالدة أمين ليشكوا لها.

قام الخالان بإصلاح وترميم البيتين المحروقين و أعادوا النوافذ والأبواب لكن لم يتجرأوا من العيش فيهما –" ما قدروش اعيشوا وين طاح باباهم و خوهم و مرت..."– فأجروهما بمبلغ رمزي جدا.

وقعت المجزرة بعد نهاية السنة الدراسية التي كان فيها أمين يدرس في السنة الرابعة وكما لاحظنا في البحث الأول تراجعت نتائجه الدراسية من 5/10 قبل الحدث إلى 1,26/10 مباشرة بعد الحدث وإلى 3,76/10 بعد عام من الحدث.

أعاد أمين السنة السادسة حيث لم يبلغ فيها المعدل لينتقل إلى السنة السابعة أين تحصل على 10,47/20 لينتقل على إثره إلى السنة الثامنة ويتحصل فيها على معدل 8,22/20 لينتقل رغم ذلك إلى السنة التاسعة وأين يتحصل على 6/20 في الفصل الأول و5,06/20 في و ينقطع عن الدراسة في الفصل الثالث.

***مناقشة حالة امين***

حدثت المجزرة في صيف 1997 وقد عرف منزل أمين اضطرابا واضحا طوال السنتين اللتان تلتا المجزرة حيث كانت والدة أمين تقضي معظم الوقت عند إخوتها الدين كانوا بحاجة لها ما اثر على أمين الذي أصبح لا يلتقي بأمه إلا نادرا وعندما كان يراها كانت دائمة الحزن والبكاء والشرود فأصبح يعزل نفسه ويخرج كثيرا ويقضي الكثير من وقته في الخارج فكانت ظروف دراسته في ذلك العامين اللذان وافقا السنة الخامسة والسادسة من تعليمه صعبة جدا خاصة السنة السادسة حيث انه تمكن من تجاوز السنة الخامسة والانتقال ولو بمعدل متواضع جدا لأنه كان معيدا للسنة الخامسة أما السنة السادسة التي كان يرفض فيها الذهاب إلى المدرسة خوفا من أن يحرقها الإرهاب فكان يتغيب كثيرا أدت إلى تعثره وإلى إعادته للسنة

مع بداية السنة السادسة الثانية لأمين بدأت الأم تستقر في منزلها لان الأخ الأرمل تزوج وبدأت ظروفه العائلية تتحسن. عند عودتها أحست بالمسافة بينها و بين ابنها ولاحظت تدهور نتائجه الدراسية فحاولت تدارك الموقف فشجعته ودفعته للعمل رغم معاناتها النفسية التي حاولت هزيمتها بالعمل في السفارة الإيطالية. فنلاحظ أن خلال العامين اللذان عملت فيهما الأم بالسفارة الإيطالية كانت نتائج أمين مقبولة حيث تمكن أمين من الانتقال إلى السنة الأولى متوسط والحصول على معدل عام مقبول فيه يمكنه من الانتقال إلى السنة الثانية متوسط

بعد توقف عمل الأم نلاحظ تدني نتائج أمين الدراسية ما تفسره هي بحديثها المستمر عن الحدث خاصة عندما يأتي أخواتها أو إخوتها ويجددون الأحداث وكأنها لم يمر عليها 10 سنوات حتى بدأ أمين يصطنع القصص التي يسمعها عن أمه و أخواله في منامه كما يشعر أحيانا كثيرة بخفقان قلبه. وبدأت الدراسة تخرج من مجال اهتمامات أمين فتحصل على معدل عام تحت المتوسط في السنة الثانية متوسط لكنه انتقل إلى

السنة الثالثة متوسط بسبب الزلزال الذي ضرب العاصمة 2003 والذي تم على إثره قبول جميع تلامذة السنة الثانية متوسط في المستوى الثالثة متوسط أين استمر تراجع أمين بتحصله على معدلين ضعيفين في الفصلين الأول والثاني و ينقطع تماما عن الدراسة في الفصل الثالث.

**مناقشة الحالتين:**

من خلال ما سبق نجد أنه من بين الحالتين، والتي واجهت كل منها صعوبات في مشوارها الدراسي بعد الحدث الصدمي، هناك حالة واحدة فقط لا تزال متمدرسة والمتمثلة في محمد الذي يعيد حاليا السنة الأولى ثانوي، في حين انقطع أمين عن الدراسة في مستوى السنة التاسعة. إن الحالتين تعرضتا لإعادة سنة مرتين على الأقل حيث أعاد محمد السنة السابعة و التاسعة اكمالي والأولى ثانوي، أما أمين فأعاد السنة السادسة وكان يفترض أن يعيد السنة الثامنة حيث لم تؤهله معدله للانتقال إلا أن الزلزال الذي ضرب العاصمة وقتها، كان ظرفا خاصا منح له فرصة الانتقال لكن نتائجه استمرت بالتدهور فانقطع نهائيا عن الدراسة في مستوى السنة التاسعة.

أما من الناحية النفسية فنجد حالة واحدة فقط من بين الحالتين تم تشخيص عليها اضطراب الضغط ما بعد الصدمة والمتمثلة في أمين الذي يعاني من بعض أعراض معايشة الحدث كالكوابيس وأعراض التجنب كتجنبه للذهاب إلى بيت جده الذي كان يحب الذهاب إليها كثيرا قبل المجزرة. في حين يعاني محمد من بعض أعراض التجنب كالنسيان إلى جانب غياب مشروع الحياة.

أما من الناحية الاجتماعية و بالرجوع للخلفية الأسرية التي تعيش فيها الحالتين نجد أنها تتشابه في بعض المزايا أهمها ما يلي:

– نلاحظ في الحالتين نفس التركيبة الأسرية، حيث نجد غياب الأب في الأسرتين إذ قتل والدي محمد على يد الإرهاب، أما والد أمين فهو يعاني من الانهيار العصبي منذ سنوات طويلة ما عزله معنويا عن أسرته وأعجزه عن تحمل مسؤوليتها كما انه كثير المكوث في المستشفى، بذلك فكل حالة تعيش مع أمها و إخوتها.

– نلاحظ أن الحدث الصدمي أثر على الوضعية الاقتصادية للأسرتين حيث كان متفاوتا و متغيرا من حالة لأخرى لنجد أن عائلة محمد

تدهورت اقتصاديا بعد مقت ل الأب لأنه كان المسئول عن العائلة كما تأثرت عائلة أمين اقتصاديا بالمجزرة التي راح ضحيتها أخواله وجده لان هذا الأخير كان يعيل الأسرة التي عجز الأب عن التكفل بها بسبب مرضه.

– نلاحظ انتشار الأعراض النفسية والجسدية على مستوى الحالتين والأسرتين، فنجد بعض الوساوس عند محمد وأمين اللذان يتوهمان بعض الأمراض نتيجة أعراض عرضية تحدث لهما. فنجد تخوف أمين من مرض القلب نتيجة تسارع خفقان قلبه، وتخوف محمد من الإصابة بالسكر والقنطة لنفس السبب. على مستوى الأسر نجد أن أم أمين أكثرهن معايشة للحدث الصدمي، المتمثل في المجزرة التي تعرضت لها أسرتها، بالذكريات والأحلام والكلام المتكرر عن الحدث. في حين تعاني والدة محمد من مرض جلدي بعد أن كانت تعاني من الفزع والأرق والذي تعاطت بسببه المنومات لفترة من الزمن التي عقبت مقتل الزوج، خلالها أصيبت ابنتها الكبرى بالوسواس ومن ثم بنوبات الصرع إلى جانب معاناة الأبناء الآخرين حيث قام الابن الأكبر باستئصال الزائدة وعانت الطفلة الصغيرة من اكتئاب خلال الطور الابتدائي.

لكن رغم تشابه التركيبة الأسرية للحالتين و انتشار الأعراض النفسية و العضوية على مستوى أفراد كل واحدة منها إلا أن البيئتين الأسريتين مختلفتين تماما ويظهر ذلك من حيث نوعية الأجواء السائدة في كل أسرة، وهو الاختلاف الجوهري بين الأسرتين فيكمن في نوعية العلاقات التي تربط أفرادها، سواء العلاقة "الحالة – الإخوة"، "الحالة – الأم" و"الأخوة – الأم". فنجد أن هذه العلاقات تختلف كثيرا من أسرة لأخرى حيث تتسم بالقوة في أسرة محمد وبالهشاشة في أسرة أمين، فمحمد أحسنهم علاقات مع إخوته وأمه، وأكثرهم قدرة على التواصل، حيث وافق مباشرة على التعامل معنا منذ أول لحظة، و أبدى تعاونا كبيرا مثله مثل أمه و أخوته، في حين رفض أمين نهائيا التكلم معنا. وإذا امعننا النظر نجد أن قوة تلك العلاقات في كل أسرة تتناسب طردا مع قوة ربة الأسرة وقدرتها على دعم أسرتها وعلى مقاومة الظروف الصعبة.

وبعد الدراسة المعمقة للحالتين التي عرضناها تخرجنا بنمطين من الأمهات تشكل الأولى عامل حماية (protection) وتشكل الثانية عامل جروحية (vulnérabilité) لأعضاء العائلة الذين يواجهون الصدمات

النفسية الناجمة عن الأحداث العنيفة. طلقنا على الأولى اسم "الأم الواقفة المحتوية" وعلى الثانية اسم "الأم المنهارة الغائبة".

**الأم الواقفة المحتوية** (La mère résistante et contenante) مثل **أم محمد**

رغم المعاناة النفسية لوالدة محمد إلا أنها تمكنت من كبتها والصمود من اجل أولادها فنجدها تحدت الظروف اللاأمنية والصعبة التي كانت سائدة في المنطقة وخرجت للحصول على تقاعد زوجها المقتول رغم انه لم يكن الخروج من عاداتها قبل موت زوجها. كما قامت بإرجاع أبنائها إلى الدراسة بعد أن اقطعوا عن الدراسة لمدة طويلة، فتمكنت من التحكم في زمام بيتها وأولادها الذين تربطهم بها علاقة تتميز بالسلطة من جهة و بالحب والحنان من جهة أخرى، فنجدهم ينصاعون لها و يقدسون كلامها ويتبعونه و يتحدون كلهم ضد الظروف الاقتصادية الصعبة و ضد خطر تهديدهم بالخروج من البيت و يعملون بما له مصلحة للبيت مثل ما تفعله الأم. ورغم أميتها إلا أنها على إطلاع على البرامج الدراسية الخاصة بأبنائها حتى بعض التفاصيل كالبحوث. فكانت دعما كبيرا للأخت الكبرى التي لم تكن لتنجح لولا والدتها وهي بدورها تدعم أخوها الصغير وتدفعه دائما للامام، ورغم محدودية إمكانياته و تعثره عدة مرات نجد أن محمد يحاول النجاح والعمل بنصائحها وإرشاداتها لأنه على علاقة جيدة معها ويعتز و يفتخر كثيرا بها.

بذلك نجحت الأم في تشكيل علاقات جيدة مع أولادها وعلاقة جيدة بينهم أيضا، فنلتمس عندهم حياة مشتركة ووحدة في الإحساس وفي التعامل فنجد نفس طريقة ترحيب ولطف محمد وإخوته وهي نفسها عند أمه، ونفس الابتسامة ونفس اللطف، نجدها عند الجميع، و هذه الأجواء الأسرية المتزنة حمت محمد من الوقوع فريسة لاضطهاد الصدمة و من الإصابة بأضـــطرابات نفسية.

**ب- الأم المنهارة الغائبة** (La mère décomposée et absente) **مثل أم أمين:**

بعد المجزرة أصبحت الأم كثيرة الغياب عن المنزل حيث قضت معظم العامين التاليين بعد المجزرة في بيت أخويها الناجيين، فأصبح أمين بدوره يقضي وقته بعد الخروج من المدرسة في الشارع مع أصحابه. لكن حتى عندما تحسنت ظروف الأخوين وعادت استقرت الأم في بيتها، ضلت غائبة بشرودها و بكائها وحديثها المستمر عن المجزرة واهتمامها

الزائد بالحدث الصدمي. فأهملت أمين ما أدى إلى تراجعه الدراسي، ما جعلها بعد ذلك تشعر بكبر المسافة بينها وبينه، حتى أنها تجده بالدا واقل حنانا من إخوته الكبار و اقل مزاحا مع إخوته. الأسوأ هو أن ذلك الفراغ العاطفي الذي خلفته الأم ترك مكانا لتصورات بشعة عن تلك الوقائع التي يسمعها في كل مرة في البيت خاصة عندما يأتي احد اخو اله أو خالاته، ما جعلته عرضة لأعراض نفسية مرضية. ذكرتنا هذه الوضعية بأبحاث أنى فرويد وبورنغام (A. Freud et D. Buringham) سنة 1942 حول الأطفال الإنجليزيين خلال حرب انجلترا أين سجلتا ارتباطا مباشرا بين ردود أفعال الأطفال بردود أفعال أوليائهم أمام التفجيرات واشتراك الطرفين في الاضطراب والاستثارة.

منه و من خلال ما سبق يتضح لنا أهمية الوسط الأسري في مصير الطفل النفسي و الدراسي و الدور الكبير الذي تلعبه الأم فيه وخاصة بعد غياب الأب.

**الخلاصة:**

كان منطلق بحثنا، معطيات بحث اجري منذ ما يقارب ثمان سنوات حول تأثير الأحداث الصدمية على التحصيل الدراسي للأطفال وعلى صحتهم النفسية، فأمدنا البحث بعينة من بعض مناطق العاصمة: براقي، بن طلحة والحراش، و الذين سجلت عليهم بعض الأعراض الصدمية إلى جانب تأثر دراسي متفاوت من طفل لآخر ما أرجعه البحث إلى الخلفيات الاجتماعية التي يعيش فيها هؤلاء الأطفال. وبعد أن وفقنا في الحصول على بعض أفراد نفس العينة والذي بلغ عددهم ستة حالات، من منطقتي الحراش وبراقي، وقد أصبحوا اليوم مراهقين، اقتفينا تطور مسارهم الدراسي، فتحصلنا على نتائج تمثل امتدادا لنتائج البحث الأول أين سجلنا مسارات دراسية متباينة ومتفاوتة حيث تحصلنا على حالتين متمدرسيتين والباقية غادرت الدراسة، ومعظمهم شهد تعثر دراسي.

ومن جهتها أمدتنا دراسة الحالات، والتي قمنا خلالها بمقابلات عيادية نصف موجهة لعدة حالات بنتيجة هامة تتمحور حول أهمية الخلفية الأسرية في مصير الطفل النفسي والدراسي، والدور الأساسي الذي تلعبه الأم فيه، حيث لاحظنا أن العلاقات السائدة في كل أسرة متوقفة على طبيعة الأم ومدى قوة شخصيتها وإمكانياتها النفسية على مواجهة الصعاب، ومن ثم كلما كانت الأم صلبة و متحكمة في بيتها كلما كانت

العلاقات فيه جيدة، وتدعم الطفل في بناء مصير ايجابي وتنمي فيه القدرة على التواصل و تحميه من مضاعفات نفسية خطيرة على مصيره النفسي، كالعزلة والأعراض الصدمية التي نصادفها عند أمين في حين نجد أن محمد أحسن علاقات مع الأسرة، و أكثر قدرة على التواصل داخل البيت وخارجه وأطولهم مشوار دراسي. وعندما نربط هذه المعطيات بأمهات الحالات التي تمكنا من إجراء المقابلات معهن تمكنا من استخلاص نمطين أساسيين من الأمهات:

- **الأم الواقفة والمحتوية:** جندت قواها لمساندة ودعم أبنائها، مثل والدة التي تمكنت من احتواء أبنائها وملئ الفراغ الذي خلفه قتل الأب والأزمة الاقتصادية، ما حمى محمد من المضاعفات النفسية وبل نجده ذا قدرة كبيرة على التواصل، كما دعمته الأخت كي يستمر في الدراسة رغم محدودية إمكانياته.

- **الأم المنهارة الغائبة** و هي أم أمين التي تحولت شخصيتها إلى شخصية صدمية عصابية بعد الحدث، فأصبحت تعيش مع خيال وأشباح المجزرة منشطرة عن بيتها، ولا تنفك تتحدث عن الواقعة، ما اثر على الصحة النفسية لامين وجعله أسير أعراض الضغط، إضافة إلى تدهور مساره الدراسي.

فأثرت طبيعة الأم على الأسرة و التي أثرت بدورها على المصير النفسي والدراسي لهؤلاء الأطفال لنجد في الأخير أن الفرضيات الموضوعة في بداية البحث قد تحققت حيث لاحظنا ما يلي:

- من بين الأطفال الذين كان تأثرهم بالحدث الصدمي كبيرا مباشرة بعد الحدث وضل تأثرهم واضحا لغاية عام بعد الحدث ويعيشون في ضل ظروف أسرية غير ملائمة، نلاحظ انهم زادوا تدهورا على الأمد البعيد، مثل حالة أمين وأمال اللذان يعيشان في ظروف أسرية تسودها الأعراض الصدمية واللاستقرار وعدم التفاهم... فلم يستمر مشوارهما الدراسي لأكثر من مستوى السنة التاسعة بعد تعثر واحد على الأقل لكل منهما، كما أن عثمان الذي قيل عنه في الدراسة الأولى انه يحيا في نفس الظروف، كان مشواره اقصر حيث فأعاد السنة السابعة مرتين ثم غادر الدراسة.

- من بين الأطفال الذين تأثروا بقوة، مباشرة بعد الحدث ثم تمكنوا من تحسين وضعيتهم الدراسية بعد عام، و يعيشون في ضل ظروف

أسرية ملائمة نسبيا، نلاحظ أنهم تمكنوا من الاستمرار والصمود على الأمد البعيد، وهو حال محمد الذي تأثر مباشرة بعد الحدث ما تزامن مع انقطاع إخوته عن الدراسة وتدهور أوضاعهم الاجتماعية، لكن بعد عودة إخوته إلى الدراسة وتحسن ظروفه الأسرية، تحسنت نتائجه وتمكن من الاستمرار و إطالة مشواره الدراسي و لو كان بصعوبة وعناء.

– من بين الأطفال الذين كان تأثرهم الدراسي بالحدث الصدمي طفيفا مباشرة بعد الحدث وحافظوا على مستواهم لغاية عام بعد الصدمة، نلاحظ أنهم استمروا على نفس الوتيرة على الأمد البعيد، وهو حال سمية التي لم تتأثر بالأحداث العنيفة في صغرها وهي حاليا تعيد السنة الثالثة الثانوي ومرشحة للحصول على شهادة الباكالوريا لامتلاكها للإمكانيات لذلك، ولسوء الحظ رفضت سمية مقابلتنا ولم تتح لنا فرصة الحديث معها للتعرف على العوامل التي ساعدتها على المقاومة.

بذلك توصلنا من خلال هذا البحث إلى تباين مصائر ستة حالات من أولئك الأطفال الذين كانوا محل دراسة سابقة، واصبحوا وهم مراهقين محل دراستنا، وذلك في ظل ظروف عائلية مختلفة، تلعب فيها الأم دورا محوريا بالغ الأهمية، وكان بودنا الحصول على أفراد كل العينة بغية تعميم النتائج التي توصلنا إليها، لكن تعذر علينا ذلك نظرا لصعوبات الميدان وصعوبات هذا النوع من الدراسات الطولية، لكنها تبقى بداية لأعمال مستقبلية في هذا المجال والتي من شانها أن تكشف عن حيثيات تأثير المحيط الأسري على ضحايا الأحداث الصدمية وكذا البحث عما سيؤول إليه المراهقون، الذين كانوا موضوع دراستنا، في سن الرشد وما سيكون عليه مصيرهم النفسي و المهني حينها؟.

*المراجع*

– عباس محمود عوض 1997" **علم النفس النمو الطفولة– المراهقة– الشيخوخة**" دار المعرفة الجامعية. الإسكندرية.

– محمد أحمد النابلسي الصدمة النفسية1991 "**علم النفس الحروب والكوارث**" دار النهضة العربية للطباعة و النشر – بيروت.

– بن حسين فريال و بيبط بريزة 1999" **الصدمة النفسية عند الطفل جراء العنف و مدى تأثيرها على تحصيله الدراسي من سن 10 إلى 12**

سنة". مذكرة لنيل شهادة الدراسات التطبيقية الجامعية. تحت اشراف الأستاذ نورالدين خالد.

- طاجين سليمة 2003 " ور الدعم الاجتماعي كعامل حماية مقابل عوامل خطر الإصابة باضطراب ضغط ما بعد الصدمة".

**BIBLIOGRAPHIE :**

**Anaut M.** (2005). *La résilience. Surmonter les traumatismes.* Armand Colin. Paris.

**Bertrand M.** (1987). *Les enfants dans la guerre et les violences civiles*. Harmattan. Paris.

**Crocq L, SAIILHAN. M. & barrois C.** (1983). « Névroses traumatiques, névrose d'effroi, névrose de guerre » In:*Encyclopédie médicochirurgicale*. Paris 37329, 3-4.

**CYRULNIK. B.** (1997). *Ces enfants qui tiennent le coup.* Hommes et perspectives. Paris.

**De Clercq M** et **LEBIGOT F.** (2001). *Les traumatismes psychiques.* Masson. Paris.

**KHALED N.** (2006). "Traumatisme psychique et devenir scolaire". In *Psychologie,* Revue de la SARP n°13.